جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنين بدسوق

مجلة الدراية
https://drya.journals.ekb.eg

مجلة الدراية
مجلة علمية محكمة ربع سنوية

العدد الخامس والعشرين [أكتوبر ٢٠٢٤م]

القصص القرآني بين أدبية النص وثقافية النسق القرآني

(قصص سيدنا إبراهيم -عليه السلام - أنموذجاً)

إعداد الدكتور

أحمد محمد عبد المجيد سعداوي

مدرس الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق

القصص القرآني بين أدبية النص وثقافية النسق القرآني (قصص سيدنا إبراهيم-عليه السلام- أنموذجاً)

أحمد محمد عبد المجيد سعداوي

قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: ahmedseadawy.2230@azhar.edu.eg

الملخص:

تعتني هذه الدراسة بتسليط الضوء على تقنيات البناء القصصي في إطار السياق القرآني، من حيث تحليله تحليلاً أدبياً، للوقوف على عناصر بنائه، وإبراز جمالياته، وبيان مدى أثره في إبراز الفكرة التي يحملها على الرغم من تكرار القصة لمرات في سور متعددة ومتباينة الأفكار، وذلك في سياق قصص سيدنا (إبراهيم) – عليه السلام- في القرآن الكريم.

ومن ثَمَّ قامت هذه الدراسة على مبحثين رئيسين يحتويان على عدة فِكرات متباينة حملها قصص سيدنا (إبراهيم)-عليه السلام- في القرآن الكريم؛ جاءت في إطار الاعتناء بتعاليم العقيدة والإنسانية التي يعود نفعها على كل البشرية بأسلوب مثير قادر على الإقناع والتأثير، وفي ذات الحين تعلمنا الأسس الفنية لبناء القصة الناجحة التي لا يختلف عليها النقاد، وتقرها كتب النقد الحديث؛ لما تميزت به القصة القرآنية من مقومات فنية بان أثرها في تحقيق غرضها؛ لعل أبرز ما ساعد على هذا أن لكل قصة فكرة رئيسة تتحكم في بناء أحداثها من حيث الزيادة والنقصان، والتفصيل والإجمال، وفي بناء عباراتها وانتقاء مفردات لغتها سواء في السرد أو الحوار بصورة تبرزها وتقربها من الوعي والوجدان، في حين أنها تمنع الالتفات لأفكار أخرى(تركيز الفكرة)؛ مما جاءت كل القِصص محكمة الحبكة، واضحة البناء والمحتوى.

الكلمات المفتاحية: القصص القرآني – قصص سيدنا إبراهيم – القصة في القرآن- بناء القصة في القرآن- جماليات القصة -إبراهيم-عليه السلام-.

Quranic stories between the literary text and the cultural nature of the Qur'an

(Stories of our master Ibrahim - peace be upon him - as an example)

Ahmed Mohammed Abdel Mageed Seadawi.

Department of Literature and Criticism, College of Islamic and Arabic Studies for Boys in Desouq, Al-Azhar University, Egypt.

Email: ahmedseadawy.2230@azhar.edu.eg

Abstract:

This study is concerned with shedding light on the techniques of narrative construction within the framework of the Qur'anic context, in terms of its literary analysis, to identify the elements of its construction, highlight its aesthetics, and demonstrate the extent of its impact in highlighting the idea it carries despite the repetition of the story several times in multiple surahs with varying ideas, in The context of the stories of our Master (Abraham) - peace be upon him - in the Holy Quran.

Hence, this study was based on two main sections that contain several different ideas conveyed by the stories of our Master (Abraham) - peace be upon him - in the Holy Qur'an. It came within the framework of paying attention to the teachings of faith and humanity that benefit all of humanity in an exciting manner capable of persuading and influencing, and at the same time taught us the technical foundations for building a successful story that critics do not disagree about and are approved by modern criticism books. Because the Qur'anic story is distinguished by its artistic components, it has an impact in achieving its purpose,Perhaps the most prominent thing that helps in this is that each story has a main idea that controls the construction of its events in terms of increase and decrease, detail and summation, and in the construction of its phrases and the selection of the vocabulary of its language, whether in narration or dialogue, in a way that highlights it and brings it closer to awareness and conscience, and at the same time prevents attention to other ideas (focus idea); From this, all the stories were tightly plotted, clear in structure and content.

Keywords: Qur'anic stories, Stories of our master Abraham, The story in the Qur'n, Building the story in the Qur'an , Aesthetics of the story, Abraham, Peace be upon him.

بسم الله الرحمن الرحيم

مـقـدمــة

الحمد لله الذي قص أحسن القصص؛ إيذانا برفعة القصة ودورها في بناء الوعي البشري، والصلاة والسلام على نبيّه الذي قُصَّ عليه أحسن القصص؛ تأكيدا على أثر القصة وقوة تأثيرها.

أمّا بـعـد

فإن لكل موضوع عنوانا يمسك بزمام فكرته الرئيسة؛ وتتفاوت قيمة الموضوع حسب أهمية فكرته، وإن من عوامل التميز في كتابة موضوع هو حصره بإطار دلالة عنوانه، بمعنى أن كل كلمة وكل جملة وكل فقرة تتصل اتصالا وثيقا بهذا العنوان(وحدة السياق)؛ حتى لا يخرج الكلام إلى موضوع آخر من تداعياته أن يقضي على وحدة السياق ويشتت الفكرة الرئيسة في ذهن المخاطَب، وإن الموضوع الأكثر نجاحا في توضيح أبعاد فكرته للمخاطَب وإقناعه بها هو ما استعان بالقصة المثيرة المتصلة اتصالا وثيقا في كل عناصر بنائها بفكرة الموضوع؛ وهذا ما لفت انتباهي إلى القصص القرآني الذي يتكرر بعضه –أحيانا– في أكثر من سورة قرآنية؛ ولا يعاد ذكره في ذات السورة، وإذا ذكر في سورة أخرى لا يذكر بذات الأسلوب؛ مما يؤكد أن لكل سورة قرآنية فكرة رئيسة تتحكم في سياقها، تأكيدا على أن القصة المكررة لا تحمل ذات فكرتها السابقة؛ مما حفزني لتوجيه بحثي إلى هذا الجانب من القرآن الكريم؛ وقد اخترت قصص سيدنا (إبراهيم)–عليه السلام– لتعدده وتكراره كثيرا، وأنه أبو الأنبياء، وأن إمامته عامة لكل الناس؛ مما يكون النفع مضاعفا؛ فجاء عنوان بحثي:(**القصصي القرآني بين أدبية النص وثقافية النسق القرآني ، قصص سيدنا إبراهيم-عليه السلام- أنموذجًا**).

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يتألف من **مقدمة** أوضحت فيها أهمية وقيمة هذا اللون من الأبحاث الأدبية، وسبب اختياري لهذا الموضوع، والمنهج الأدبي الذي اتبعته فيه، وتلا المقدمة **تمهيد** أوضحت فيه أثر

القصص من منظور القرآن الكريم لاسيما فيما يتعلق بـ(إبراهيم) -عليه السلام-، وأتبعت ذلك **بمبحثين، الأول** يحمل عنوان: قصص إبراهيم مع أبيه وقومه، وقسمته إلى ست فِكرات، جاء عنوان كل منها حسب فكرة قصتها، فجاءت **الفكرة الأولى** بعنوان: الاستدلال على وجود الله- جل في علاه-، و**الثانية** بعنوان: الصبر مفتاح النصر، و**الثالثة** بعنوان: بر الأنبياء بآبائهم وأهليهم (رحمة قلوبهم)، و**الرابعة** بعنوان: العبرة لمن يعتبر، **والخامسة** بعنوان: انعدام نفع كل ما دون الله-جل في علاه-، و**السادسة** بعنوان: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان، **والمبحث الثاني** بعنوان: بشرى إبراهيم بإسحاق ويعقوب، وهو يتضمن ثلاثة نماذج قصصية لحدث واحد(بشرى إبراهيم بإسحاق ويعقوب)، قصدت فيه إبراز الاختلاف بين النماذج الثلاث حسب فكرة السياق الوارد فيها كل نموذج، ثم أعقبت ذلك كله **بخاتمة** عرضت فيها أهم النتائج والتوصيات، ووليها **فهرس المصادر والمراجع**.

واعتمدت في إعداد هذا البحث على **المنهج الوصفي**؛ لتميزه بالشمولية والتكاملية؛ حيث يجمع بين التحليل والتفسير، ثم الاستنتاج الجزئي فالكلي؛ فتُرتَب الأفكارُ، ويُحْكم الموضوع، الذي تقتضي دراسته الالتفات إلى الجانب التحليلي للتراكيب؛ للوقوف على عناصر بناء القصة فيه؛ ليتجلى جمال البناء وروعة التعبير، ومصادر الجمال فيه، وتحديد الأسباب التي تثير فينا ذلك الشعور، ثم الاعتماد على الاستدلال وحسن الاستنباط؛ لتحصين الاجتهاد بقوة الحجج والبراهين للوصول إلى أقصى ما قد يصل إليه العقل البشري من إدراك أوجه الجمال في التعبير القرآني الكريم الذي لا ينضب معينه، ولا يصل إلى منتهاه إلا العليم الحكيم.

وإني لأرجو أن أكون بعملي هذا قد أضفت إلى المكتبة العربية جديدًا، واستطعت توضيح جانب من جماليات القرآن الكريم؛ ولا يجوز غير القول بأن هذا البحث هو عمل بشري أمام إعجاز إلهي؛ فلا يملك الإنسان حينئذ إلا الاجتهاد وإخلاص النية لله؛ لعله يصادف الحق والصواب، وبالله استعنت وهو ولي التوفيق.

التمهيد

أثر القصة من منظور القرآن الكريم

الفن القصصي "شعبة جليلة من شعب القرآن الكريم اختصه الله منه بنصيب كبير لمكانه من الدعوة"(١)، وتتضح أهمية القصص القرآني فيما ورد ببدايات سورة (يوسف) التي تعد المثال القرآني الأبرز للاهتمام بالقصة(موضوعا وفنا)؛ لذا استُهِلّتْ قصتها بمدخل موضح لأهمية القصة، يقول تعالى: **(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ)**(٢) فبدأت الآية بضمير المتكلم المجموع العائد على الله؛ تعظيما لكونه -جل وعلا- خبيرا محيطا بهذا الفعل المسند إليه، وإيذانا بشرف المقصوص عليه وأفضلية هذه القصة من ناحية الخصوص، بالإضافة إلى تمجيد فن القصة التي تحاكي الواقع؛ مبينا -جل في علاه- أبرز أهدافها التي تتمثل في إحاطتنا بأخبار الأمم السابقة؛ من أجل فتح الآفاق البشرية نحو التعامل مع الأمور المشابهة بشيء من الخبرة والنباهة؛ لذا عبر بلفظة **(ٱلْغَٰفِلِينَ)**؛ التي تجمع بين الغفلة عن الإحاطة بالقصة التالية، وبين عدم وعي المجتمع آنذاك بأصول هذا الفن وأهميته، حيث كان لا يعطي له اهتماما كغيره من فنون الكلام.

وفي نهاية سورة (يوسف) وبعد تقديم الأدلة والبراهين على صحة هذا المدخل على امتداد أحداث قصة(يوسف)-عليه السلام-، إذ تُختم هذه السورة بقوله تعالى: **(لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ**

(١) مع القرآن الكريم في دراسة مستلهمة- علي النجدي ناصف - صـ ١٩- تحقيق/ مدحت يوسف السبع- دار المعارف.

(٢) سورة يوسف- الآية (٣).

وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ[١]، ختام يُستفتح بـ(اللام) الواقعة في جواب القسم المحذوف، يليها حرف التحقيق وإماطة التشكيك(قد)؛ للتأكيد على أن القصص القرآني خاصة لفيه العبرة التامة لكل شيء، وذلك لذوي العقول السليمة الخالية من الأهواء النفسية والعصبيات القومية؛ لذلك قيد هذا النفع بحتمية التصديق بكل ما جاء فيه، والخضوع لكل ما أمر به؛ ففي ذلك السبيل للظفر بهدى الله ورحمته المقصورين على المؤمنين؛ وتلك إشارة إلى أهمية القصص في نشر الدعوة والارتقاء بالمعاملات والمشاعر، ولقد أدرك زماننا المعاصر –بما وصل إليه من أوج درجات العلم ووسائل التكنولوجيا والإعلام– أهمية القصة وأثر توظيفها في التربية والمعرفة وبناء الوجدان والوعي عموما.

عالمية إمامة (إبراهيم) -عليه السلام-

إن الله قد أرسل رسله إلى أقوام محددة برسالة محدودة إلا اثنين من الرسل[٢]، منهما سيدنا (إبراهيم)–عليه السلام– الذي قال تعالى في حقه: (وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ)[٣]، فهذه الآية ممهدة لكل ما سيذكره القرآن عن (إبراهيم)–عليه السلام– لاحقا؛ لذا جاءت أول آية يذكر فيها(إبراهيم)–عليه السلام– حسب ترتيب سور القرآن في المصحف؛ وفي هذا الحوار يبين الخالق أنه ابتلى نبيه(إبراهيم)–عليه السلام– بابتلاءات روعي فيها الإطلاق؛ حيث جعلها صالحة للاعتبار والتأسي لعموم الناس

(١) سورة يوسف– الآية (١١١).

(٢) ثانيهما: سيدنا (محمد)–صلى الله عليه وسلم– فقال تعالى:(...وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا)سورة النساء من الآية(٧٩)، وقال تعالى بلفظ(العالمين)مجموعا؛ مما هو أوسع نطاقا في مدلوله من الناس:(وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ)سورة الأنبياء، الآية(١٠٧) .

(٣) سورة البقرة– الآية (١٢٤).

في كل زمان ومكان؛ لذلك جاء التعبير القرآني بـ(**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**) والدليل على هذا هو التأكيد على نبينا-صلى الله عليه وسلم- في أكثر من آية باتباع نهج (إبراهيم)-عليه السلام- :(**وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ**)[1] وقال تعالى: (**وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ**)[2] فجُل ما ورد عن (إبراهيم)-عليه السلام- لفيه الأثر المحمود الذي ينبغي على كل البشرية اتباعه والتأسي به؛ لذا يقول تعالى:(**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ...**)[3]، بل إن الله يبين في ذات السورة ضرورة هذا التأسي في خطابه لنبيه-صلى الله عليه وسلم-وللمؤمنين :(**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ**)[4].

فما سبق يبرهن على عالمية هذه الشخصية واعتبارها أنموذجًا مثاليا فيما يصدر منها وعنها على الرغم من ذكره-عليه السلام- مع قومه المحددين لزمان قصصه ومكانه؛ لكنّ الله لم يرسله إليهم حتى دفعته رجاحة عقله أولا لرفض عقائدهم والاهتداء إلى خالقه؛ ليجعل الله إمامته عالمية تتجلى في شتى قصصه التي بنيت على أساس طرح فِكرات عامة لا يقتصر نفعها على زمان أو مكان محددين؛ وهذا مما تتكئ عليه الدراسة.

(١) سورة البقرة- الآية (١٣٠).
(٢) سورة البقرة- الآية(١٣٥).
(٣) سورة الممتحنة – من الآية (٤).
(٤) سورة الممتحنة – الآية (٦).

المبحث الأول : قصص إبراهيم مع أبيه وقومه

مدخل :-

لسيدنا (إبراهيم)-عليه السلام- قصة واحدة طويلة كأي شخصية؛ لكنها مليئة بالمواقف المثيرة والعبرات النافعة التي تجعل من بطلها أنموذجًا جديرا بالذكر والحكاية؛ حتى يقتدي العالمون بنبل مواقفه وحسن بلائه، فـ"هذا القصص الذي جاء به القرآن الكريم لم يكن تاريخا للحياة كلها وأحداثها، وإنما هو عرض لبعض المواقف، وكشف عن بعض الأحداث التي من شأنها أن تحدث في النفس أثرا، وتقيم في الضمير وازعا، وتفتح العقل والقلب على مواقع ماثلة العبرة والعظة"(١).

فالقرآن الكريم الذي من إعجازه الإيجاز المحيط؛ يستدعي من قصة (إبراهيم)-عليه السلام- الطويلة بعض أحداثها الرئيسة ويقدمها في قصص قصيرة جدا كاملة الأركان، شديدة الإيجاز، كثيفة الدلالات، يراعي في بنائها دقة ملائمة فكرة السياق المستدعاة إليه؛ مما ينزلها من عقل المخاطَب منزلة التأكيد، ويثري الفكرة الرئيسة للسورة القرآنية، والنماذج التالية موضحة لهذا.

وأبدأ بما يمكن القول بأنه بداية قصة سيدنا (إبراهيم) إذا ما جمعناها في إطار واحد ذي حبكة قصصية محكمة، فأبدأ بقصته الواردة في سورة (الأنعام) التي من اسمها ومن مجمل آياتها يمكن وضعها تحت فكرة رئيسة، هي: (سوق الأدلة على وجود الله وعظيم قدرته وسعة فضله)(٢)، ومنها تنبثق الفكرة الأولى في بحثي.

---

(١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه - عبدالكريم الخطيب- صـ ٦٨- دار المعرفة.

(٢) تتبلور هذه الفكرة بكافة أبعادها وشتى محاورها في استفتاح سورة الأنعام:(**ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**)سورة الأنعام- الآية(١).

الفكرة الأولى : الاستدلال على وجود الله- جل في علاه-

ويبدأ تناولي لهذه القصة من قول الله -تعالى- في خطابه لنبينا -صلى الله عليه وسلم-: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ**﴾[1]، فهذه الآية هي مدخل للقصة التالية وربطها بالسياق العام للسورة[2]؛ فإن السماوات والأرض وما فيهما من آيات عديدة لتدل دلالة واضحة على وجود الله وعظيم قدرته، ثم يأتي القرآن بالقصة التي تبرهن على صحة فكرة السياق؛ بتوضيح كيفية الاهتداء بالسماوات والأرض على وجود الله، إنها قصة سيدنا (إبراهيم) -عليه السلام- قبل اهتدائه إلى خالقه، فيعقب تلك الآية قوله تعالى بذات (**الواو**) الدالة على اتصال الكلام: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ**﴾[3].

تلك بداية أحداث القصة التي تشير إلى أن الاستدلال على وجود الله والإيمان به يتطلبان عقلا سليما نقيا من سيطرة المعتقدات الضالة(نقاء الفطرة)، وبعد هذا المنحى الذي سلكه (إبراهيم) بالفعل إذا يعلق القرآن على هذه البداية معلنا بدء التواصل الرباني غير المباشر مع هذا العقل الرشيد الذي يريد الاهتداء إليه، حاسما للنهاية منذ البداية؛ مكتفيا بإخلاص النية لحسمها: (**وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ**﴾؛ فجاءت بداية مثيرة تعمل على جذب المستمع؛ فإن (إبراهيم)

---

(١) سورة الأنعام- الآية(٧٣).

(٢) من الاتجاهات الحديثة في بناء القصة القصيرة الاعتناء بالمدخل القصصي لأثره الملحوظ في جذب الانتباه والتشويق وربط الأحداث بعضها ببعض.

(٣) سورة الأنعام- الآيتان(٧٤، ٧٥).

ليس حالة واحدة، بل أراد القرآن أن يضرب به المثل الموضح لنهاية كل من سار على دربه على امتداد الأزمان والمجتمعات؛ لذلك يعمد القرآن في إبراز جوانب شخصية (إبراهيم) على "الطريقة التمثيلية التي يبعد الكاتب عن الشخصية لكي تظهر بالتعبير عن نفسها وتكشف عن حقيقتها وذلك عن طريق التصرفات والأحاديث"(١)؛ للتأكيد على واقعيتها.

فالقصة –بلا شك– أحداثها واقعية تتكرر باستمرار، حيث إن سيدنا (إبراهيم) قد أصابه التشتت والتعجب مما يحدث من أبيه وقومه وما يحدِّثُه به عقله، حيرة تقوده إلى التحدث مع أقرب الناس إليه وقدوته؛ لعله يرحم حيرته القاتلة؛ فلا أقرب من الأب حينئذ الذي يمثل الزارع لعقيدة الابن؛ لذا بدأ القرآن هذه القصة بحوار (إبراهيم)–عليه السلام– مع أبيه الذي استفتح الآية بـ(**إذ**) الدالة على الزمان؛ إيذانا ببداية الأحداث، مشيرًا إلى أن هذا الحوار ما زاد (إبراهيم) إلا تشتتا وتمزقا عن قومه؛ ففقد الثقة في البشر حوله؛ ومن ثمّ صار وحيدا يتحسس الجواب في كل ما تقع عليه عيناه من مظاهر الطبيعة أرضا وسماء؛ باحثا عن إجابة لسؤاله المؤرق: مَن إله هذا الكون ومدبر أمره بهذا النظام العجيب؟!.

ومن ثمّ يأخذك القرآن الكريم إلى الحدث الرئيس من خلال السرد عن (إبراهيم) –عليه السلام– في رحلة البحث عن إجابة سؤاله؟؛ ويعمد في السرد إلى ذكر حوار (إبراهيم)مع نفسه(**الحوار الداخلي**)(٢)؛ ليبين لك أبعاد

(١) فن القصة – محمد يوسف نجم–صـ ٩٨– دار بيروت للطباعة والنشر– ١٩٥٥م.

(٢) الحوار الداخلي أو المونولوج الدخلي : "هو الميدان الحقيقي لاكتشاف العوالم الداخلية للشخصيات وعن طريقه يتعرف القارئ على موقع لشخصية، وعالمها الروحي، ومستواها الفكري والثقافي. فهو في الحقيقة كلام لساني تتفوه وتتحدث به الشخصيات، ولكن لا لتُسمِعه أساسًا للآخرين أو لتوصل إليهم عبره أفكارها وهواجسها وتداعيات تلك الأفكار والهواجس بقدر ما هو تعبير عن دواخلها إقرار بالأشياء أو تساؤلا عنها أو نقاشًا لها، وكل ذلك لأنفسنا أو لنا نحن القراء". – بحث بعنوان: (أنماط المونولوج في رواية "همس الجسور" للروائي علي المعمري– إسماعيل بن مبارك بن سالم العجمي– مجلة ابتكارات للدراسات الإنسانية والاجتماعية(مجلة دولية محكمة)– المجلد الأول، العدد الأول– صـ ١٤٠.

هذه الشخصية وما يدور في ذهنها وشدة حيرتها لزمن ليس بالقصير؛ توضيحا لصدق نيته-عليه السلام- وقوة عزيمته، فيقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[1].

إن التعبير القرآني بقوله (فَلَمَّا)متكررة ست مرات في ثنايا هذا الحدث الرئيس؛ يبرز مدى تأهب (إبراهيم) ودؤوب سعيه ليل نهار في تتبع كل ما يمكن أن يكون إلها؛ يؤكد هذا سرعته في إصدار الحكم بألوهية ما تراه عيناه، ثم رجاحة عقله تُفنّدُ حُكمَه؛ وفي نهاية رحلة البحث عن إله هذا الكون يتوصل عقل(إبراهيم) إلى القول الصائب: (إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ).[2]

هذه الآية تمثل الخلاصة التي خلص بها (إبراهيم) بعد رحلته الطويلة، مفادها: إن كل ما حولك يدعوك للإيمان بألوهية من يستطيع فعل كل هذا العجب الذي يحيط بك من كل اتجاه دون الحاجة إلى رؤيته أو التعرف على هيئته، يكفيك أنه خالق هذه السماوات والأرض، وأنه المدبر لشئون ملكوته بدقة غير متناهية؛ يكفيك القول بأني أؤمن بألوهية خالقي ومدبر أمري وإليه مرجعي بغض النظر عن أي شيء آخر، إنه يؤكد على كل ما جاء في تلك الآية الممهدة لهذه القصة، فبدون شك إنه قول كل أصحاب العقول الرشيدة والقلوب النقية على امتداد الأزمان والأماكن.

وتتقدم الأحداث بمنطقية؛ حيث يبين القرآن الكريم أن هذا التوجه الجديد

(١) سورة الأنعام- الآيات (٧٦: ٧٨).

(٢) سورة الأنعام- الآية (٧٩).

لـ(إبراهيم) لن يكون النهاية السعيدة لإنسان وحيد وسط قوم كُثُر خُتِمَ على قلوبهم وعقولهم بما وجدوا عليه آباءهم من ضلال، فيقول تعالى: (وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ*وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ*ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ).[١]

فيشير القرآن إلى تذمر قوم (إبراهيم) منه بعدما خالف عقيدتهم دون تطرق القرآن إلى تفاصيل هذا التذمر وبيان حججهم كما فعل من قبل بعدم ذكره لحوار والد (إبراهيم) معه؛ لأن أحداث القصة تأتي في سياق (الاستدلال على وجود الله)؛ فإن هذا المشهد الأخير الذي عرضه القرآن الكريم يقابل فيه بين فرد وحيد وبين قوم كثر غلاظ؛ مكتفيا بذكر حوار (إبراهيم)-عليه السلام-؛ لأنه يعكس مدى أثر إيمان هذه الشخصية ومصداقيتها، إيمانا راسخا في قلبها، متسلحا بالحق وحسن المنطق، لا يزعزعها خوف ولا تهديد مهما بلغ المهدِّدُ من القوة والعدد، وهذا في صلب السياق (الاستدلال بالحق ينبثق منه الإيمان الصلب).

ويعلق القرآن على حوار (إبراهيم) موضحا أنه بني على الحجة البالغة، فيقول تعالى: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)[٢].

فهذا التعليق القرآني يوضح كيف خالف (إبراهيم) وحده درب قومه، ولم

(١) سورة الأنعام- الآيات(٨٠ : ٨٢).

(٢) سورة الأنعام- الآية (٨٣).

يثنوه عن قراره؟ فإن الجواب على هذا السؤال وغيره يتلخص في تخلص عقله من أهواء قومه وخضوعه للحق خضوعا؛ فرفعه الله عن السفهاء والضالين سواء في أفعالهم أو أقوالهم؛ وهذا ما بان أثره في حججه -عليه السلام-التي بنيت على ما تكشف لبصيرته ما لا يبصره قومه؛ لذا جاءت الحجة منسوبة إلى الله؛ للدلالة على دوام الاتصال الرباني بـ(إبراهيم) في كل الأحوال وعلى كافة الأصعدة.

لكن القرآن لم ينه القصة بهذه النهاية المفتوحة؛ "لأن النهاية هي التي ستحدد الأثر الأخير في نفس القارئ"[1]، وموقفه من صحة الفكرة والتمسك بها؛ لذلك يضع القرآن شرطا لنهاية أي قصة تقوم أحداثها على الصراع بين الحق والباطل، هذا الشرط يتمثل في حتمية نصرة الحق نصرا مبينا من خلال تصوير النهاية السعيدة لصاحب الحق كتعويض عما لاقاه من معاناة في سبيل إقرار هذا الحق، فيقول تعالى:

(وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ *وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ *وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ*وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ).[2]

فلا أعظم نصرا وفضلا من أن يخرج من ظهر (إبراهيم)-عليه السلام- هذا العدد من أنبياء الله والصالحين؛ لتكون النهاية المغلقة التي يؤثرها القرآن على النهاية المفتوحة، فقد جعل الله (إبراهيم) شجرة الهدي الرباني التي تفرعت أغصانها في كل مكان وزمان يستظل بظلالها

(١) فن كتابة القصة – حسين القباني- صـ ٥٢-المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر-١٩٦٥م.
(٢) سورة الأنعام- الآيات(٨٤: ٨٧).

المؤمنون بكافة جنسياتهم وألوانهم، على الرغم من أنه متفرع من شجرة (نوح)-عليه السلام-[١]. ولم تأت نهاية طويلة كهذه وتجمع هذا الكم من الرسل إلا في هذا السياق؛ لأنه يمثل طريق الحق الذي يجمع ويجتمع عليه كل الأنبياء، ويجاهدون في سبيل إبلاجه، وهو المعيار في اختيار الله لأنبيائه واصطفائه لعباده كما جاء في التعليق الختامي للقرآن الكريم على أحداث هذه القصة بصورة مطوّلة فريدة-أيضا-: **(ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ*أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمًا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ)**[٢].

لاشك في أن هذه القصة وكل قصص الأنبياء فيها العظة النافعة، ولا يوجد عظة أعظم ولا أنفع من هذه؛ لذا جاء الخطاب بعدها إلى رسول القرآن-صلى الله عليه وسلم- وأمته معا بالأمر المباشر بوجوب الاقتداء بهم في ذلك؛ فيقول تعالى:**(أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ).**[٣]

ومن ملائمة دلالة السياق قبل بدء أحداث هذه القصة، إتيان الكلام بضمير الغائب الذي يتطلب من المستمع البحث عنه، فقال تعالى:**(وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ...)**؛ ومن ثمّ تبدأ رحلة البحث عن الحقيقة، وتلك هي رحلة كل إنسان ضل طريق الله بسبب نشأته وسوء مجتمعه، وإن رحلة سيدنا (إبراهيم) في البحث عن الحقيقة أوجزها القرآن في

---

(١) قال تعالى: **(إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)**سورة آل عمران- الآيتان(٣٣، ٣٤).

(٢) سورة الأنعام- الآيتان(٨٨، ٨٩).

(٣) سورة الأنعام- الآية (٩٠).

تدبر ثلاث مخلوقات فحسب(النجوم والقمر والشمس)، ولعلها تضمنت في الواقع مخلوقات أكثر؛ لكن القرآن اكتفي بما يضيف إلى المشهد إضافة مكثفة يستعيض بها عن بقية الأحداث الثانوية مع الإشارة إليها؛ حفاظا على منهجية القصة المركزة؛ وهذا ما يوضحه قوله تعالى: **(وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ)** فذكر ملكوت السماوات والأرض معا بشتى مخلوقاتهما، وعبر بالفعل **(نري)** مجموعا بضمير المتكلم (الالتفات من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم)؛ الذي أوحى بكل ما يمكن أن يدل على قدرة الله ووجوده في كل هذا الملكوت الممتد، وقد بدأها القرآن بذكر الأصغر فالأكبر؛ إيماء إلى التدرج في المعاناة حتى الوصول إلى الحقيقة(الحق)؛ لكنه آثر ذكر الثلاثة فقط؛ لأن دلالاتها على وجود الله جامعة وباقية زمانا لكل العيون في أي مكان؛ ومن ثمّ يبرز دور امتداد الزمان والمكان في حدوث هذه الآيات؛ للدلالة على عدم تقييد الآيات الدالة على وجود الخالق بمكان أو زمان.

وتتجلى أهمية (البصر والعقل) في هذه القصة؛ وقد جاءا منسوبين إلى الله، فابتدأ بالفعل **(نُرِيٓ)**المرتبط بحاسة البصر، ونسب إلى الله؛ للدلالة على اختلافه عن هذا البصر الذي يشترك فيه كل البشر؛ للتأكيد على أن هدى الله هو الهدى مهما بلغت آيات الله عددا وأثرا أمام أعين الظالمين؛ ثم ختمها بقوله **(وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ)** لبيان أثره -جل في علاه- في إعانة العقل البشري على ترجمته ما يراه البصر إلى إيمان في القلب تحيا جميع الجوارح بنور هذا الإيمان؛ فتهتدي به في كل سلوكياتها ومشاعرها لاسيما فيما تنطق به؛ وهذا ما ظهر أثره جليا في حوار سيدنا (إبراهيم)مع قومه؛ ولذلك آثر القرآن الكريم الاستشهاد بـ(إبراهيم) في هذا السياق؛ خاصة أنه-عليه السلام- ولد في قوم كافرين، ونشأ وسط عائلة كافرة، فلا يوجد آنذاك من يرشده إلى ربه، أو أن يلفت انتباهه إليه-جل في علاه-؛ فاعتمد اعتمادا

كليا في ذلك على بصره وعقله دون وحي أو اتصال مباشر كبقية رسل الله؛ وهذا من أسباب اعتباره شخصية عالمية.

وقد غلب معجم (الهدى والإيمان والكفر والشرك) على مفردات هذه القصة القرآنية؛ دلالة على الفكرة التي تحملها.

الفكرة الثانية: الصبر مفتاح النصر

والقصة الثانية لسيدنا (إبراهيم)-عليه السلام- بناء على تواتر الأحداث زمانيا- يقدمها القرآن الكريم في سورة (الأنبياء) التي من اسمها ومن مضمون آياتها يمكن أن يربط بين آياتها فكرة رئيسة هي: (إعراض الناس عن الحق وتماديهم في طغيانهم)[١]، خاصة في ظل سوق الأدلة الدامغة على ضلالهم وتحذيرهم، ويأتي على رأس هذه الطرق إرسال الرسل إليهم، يلخص هذه الفكرة قوله تعالى فيها مخاطبا رسوله-صلى الله عليه وسلم-: **(وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ)**[٢]؛ حتي يرفع الهم والحزن عن كاهل نبينا- صلى الله عليه وسلم-، ويعينه على الصبر والتحمل حتى الوصول إلى غايته (إتمام رسالته).

وتُستهل القصة بمدخل فيه من التشويق والإثارة والتلميحات التي تحتاج إلى استبيان، فيقول تعالى: **(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ)**.[٣]

---

(١) **(ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ)**سورة الأنبياء- الآية(١)، استفتاح يلخص الفكرة الرئيسة للسورة؛ وهو إعراض الناس عن اتباع الحق على الرغم من أنهم لا يمكنهم دفع الموت عنهم إذا جاءهم؛ وهذا يعكس مدى الغفلة التي يعيش فيها الناس.

(٢) سورة الأنبياء- الآية (٤١).

(٣) سورة الأنبياء- الآية (٥١).

يمهد القرآن لهذه القصة بهذه الآية الموجزة التي يبدأها بالتأكيد بـ(**واو**) القسم وحرف التحقيق(**قد**)؛ وهذا الاستهلال اليقيني يكثف من عوامل التهوين على نبينا-صلى الله عليه وسلم- في ظل شدة تمادي قومه في طغيانهم وإعراضهم؛ مما يبعث بالحزن والريب في قلبه-أحيانا-؛ فيوقن بأن كل شيء لا يخرج عن إرادة ربه، يؤكد هذا؛ ختام هذه الآية بـ(**نا**) الفاعلين واسم الفاعل مجموعا في قوله تعالى: **(وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ)**.

وإن قوله تعالى في مدخل هذه القصة:**(ءَاتَيْنَآ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ)** يحيلك إلى القصة السابقة وأثرها البالغ في مجريات أحداث هذه القصة الحالية باستدعاء الحجة البالغة التي آتاها الله لنبيه (إبراهيم) على قومه وتوظيفه إياها في أحداث القصة الحالية لبيان مدى ضلالهم وحججهم الواهية؛ لذلك ذُكر حوار قومه وحججهم مفصَّلين هنا -إلى حد كبير-؛ بصورة تخدم الفكرة الرئيسة التي تتكيء على الحوار أكثر من السرد؛ لغاية توضحها أحداث هذه القصة؛ "فالحوار هو أقدر الأدوات التي يستخدمها الراوي لتقديم الشخصية على نحو مكثف وسريع"[1].

وتبدأ أحداث هذه القصة بالحوار بين (إبراهيم) وقومه الذين على رأسهم أبوه[2]، فيقول تعالى: **(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ * قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ * وَتَٱللَّهِ**

(١) عالم الرواية- رولان بورنوف، ريال أوئيليه- ترجمة/ نهاد التكرلي-صـ ١٦٩-دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩١م.

(٢)- ذكر القرآن أبا (إبراهيم)بداية الأحداث؛ على سبيل المقابلة بين (إبراهيم) وبين قومه في قولهم:**(قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ)**؛فقد خالف (إبراهيم) أباه في هذا التقليد الأحمق؛ مما يبطل حجتهم.

لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ).[١]

حوار ينمو بالأحداث ويرد على كل تساؤلات المستمع، مبرزا كيف أدار (إبراهيم) الحوار بكل عقلانية وحكمة داحضة لكل تكهناتهم، كاشفا عن مدى حماقتهم شيئا فشيئا، بداية من تجرد عقولهم من أدنى درجات التعقل لماهية ما يعبدون، ثم عدم تصديقهم لما توعد به (إبراهيم) آلهتهم بتدميره إياها تدميرا؛ مستبعدين حدوث ذلك لآلهتهم القديرة–على حد اعتقادهم–!.

ومن هنا تأخذك الأحداث إلى الذروة؛ حيث ينفذ (إبراهيم) ما توعد به قومه دون تردد أو رهبة، بل زين فعلته بالعقل –كعادته–، فيقول تعالى موضحا ذلك: **(فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ)**[٢].

ثم يعاود القرآن إلى الحوار مرة أخرى على ألسنتهم؛ لأنه الأقدر على توضيح حقيقة عقلية هؤلاء القوم الذين يتمسكون بعبادة أحجار!، فيقول تعالى: **(قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ * قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ).**[٣]

لقد أُشير إلى عمر سيدنا (إبراهيم) في هذه القصة: **(قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ)**، والفتي هو مَن في سنٍ بين المراهقة والرجولة[٤]، فذكر القرآن عمر الشخصية هنا بالذات لأهمية تشير إلى أن بداية النضج العقلي للإنسان الذي يوجب عليه التكليف والمحاسبة يبدأ من هذا السن؛ لذا لا يحاسب المرء إلا حين ينضج عقله.

---

(١) سورة الأنبياء– الآيات(٥٢ : ٥٧).

(٢) سورة الأنبياء– الآية (٥٨).

(٣) سورة الأنبياء– الايات(٥٩ : ٦١).

(٤)– ينظر: – معجم اللغة العربية المعاصرة– د.أحمد مختار عبدالحميد وآخرون– باب (الفاء)–الجذر (ف، ت، ي).

لا يفصل القرآن بين الأحداث الرئيسة بأحداث ثانوية لا تخدم في إبراز فكرة القصة؛ لذا لم يقطع القرآن الحوار؛ وكأنك تشعر بتتابعه على الرغم من تغيّر صورة المشهد من السؤال عن الجاني إلى مشهد سؤالهم (إبراهيم) على أعين الناس:(**قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ**).[1]

إن (إبراهيم)-عليه السلام- لم يقصد الكذب ولم ينف التهمة عن نفسه، بل "سلك عليه السلام مسلكا تعريضيا يؤديه إلى مقصده الذي هو إلزامهم الحجة على ألطف وجه وأحسنه بحملهم على التأمل في شأن آلهتهم مع ما فيه من التوقي من الكذب"[2]، لقد أراد-عليه السلام- أن يضع قومه أمام أمرين يرغمانهم على الإقرار بالحق: **الأول**: بأن ينفوا ما ادعاه؛ وفي النفي إقرار منهم بأن أصنامهم لا تقدر على شيء أبدا. **الثاني**: أن يصمتوا دون رد؛ إحراجا من سوء معتقدهم وهشاشة ما يعبدون، ومن ثمّ تتدخل الصورة القرآنية لتصور لنا حقيقة موقفهم آنذاك، فيقول تعالى: (**فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ*ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ**).[3]

يوضح القرآن أبعاد رد فعلهم من خلال (**وقفة نفسية**)؛ بتحليل نفسيات تلك الشخوص وما يدور في ذهنها، مبرزا أن سطحية عقولهم تناست في بداية الأمر أن هذه الأصنام لا يمكن أن تنطق، بل ظنوا أن بمقدورها أن تتشاجر ويغلب كبيرها صغيرها؛ لذا عبر القرآن بالرجوع إلى

(١) سورة الأنبياء- الآيتان(٦٢، ٦٣).

(٢) تفسير أبي السعود ، للإمام أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى- جـ ٦- صـ٧٤- دار إحياء التراث العربي.

(٣) سورة الأنبياء- الآيتان(٦٤، ٧٥).

أنفسهم:(فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ)بما تحمله من تعظيم وإيمان بألوهية أصنامهم؛ ولم يجعل الرجوع إلى بعضهم، أو إلى عقولهم على سبيل المجاز المرسل؛ لذلك أقروا في بداية الأمر ببراءة (إبراهيم)؛ لحسن منطقه وسلامة حجته؛ بل أقروا بظلمهم إياه:(فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ) مع الاحتفاظ بألوهية أصنامهم المفتتة في أنفسهم!.

وبعد تأنٍ وتشاور بينهم أشار إليه حرف العطف(ثُمَّ)؛ فقال تعالى:(ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ) وهذا التصوير القرآني العميق باستخدام حرف الجر(على) –الذي يفيد الاستعلاء–؛ أوحى بأكثر من احتمال، **الأول**: إن معنى التنكيس على الرأس بأن تعلو أجسادُهم رؤوسَهم؛ فصارت الأخيرة موضع أحذيتهم؛ إشارة إلى إلغاء عقولهم؛ ومن ثم جاء تفكيرهم وكل ما عقلوه من قول (إبراهيم) –عليه السلام– أن آلهتهم القديرة لا تنطق!:(لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ) فصار هذا الاستنباط هو الحجة على كذب (إبراهيم)–عليه السلام–؛ لذا أقروا بذنب(إبراهيم)–عليه السلام– إقرارا يستوجب العقوبة! دون انتقاصهم من قدر آلهتهم–أيضا–!.

الثاني: المبالغة؛ إجلاء لهول الخزي الذي أحاطهم بعدما أحرجهم (إبراهيم) بقوة حجته؛ فصاروا غير قادرين على رفع رؤوسهم، خاصة لما أرادوا أن ينطقوا عارا؛ فصار التنكيس مضاعفا آنذاك، ولا مانع من الجمع بين المعنيين؛ عقل معطل وعار أبلج.

إن القرآن الكريم في هذا الحوار قد كشف لنا عن مدى تمكن الضلال من الظالم تمكنا يحجبه من الخضوع لحقائق بازغة كشمس الظهيرة، لاشك بأن هذا الموقف جدير بأن يخفف شدة ما يلقاه نبينا(محمد) –صلى الله عليه وسلم– أمام ضلال قومه وتحجر أفئدتهم؛ فإن قوم (إبراهيم) اعترفوا بألسنتهم أنهم يعبدون ما لا ينطقون؛ مما ينفون عن معبوداتهم صفة

الألوهية نفيا قطعيا، ومع ذلك لم يعتزلوها وتمادوا في ضلالهم؛ ومن ثمّ يقول (إبراهيم)-عليه السلام- باستفهام يحمل شعوره المثير بالتعجب والاندهاش:(**قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ**)[1] ثم أتى بعده بالتأفف الصريح فالاستنكار التوبيخي من خلال الاستفهام المجازي؛ -وذلك من معجم الاستهجان الراقي في القرآن الكريم-:(**أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**)[2] لإحاطة المستمع بهول الصدمة على نفسه-عليه السلام- وإن استنكار (إبراهيم) لأبعاد تعقلهم بقوله(**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**) يرجح الاحتمال الأول.

لم يعد بإمكان قوم (إبراهيم) أن يتلفظوا بلفظ يبرر موقفهم أو يدافعوا عن آلهتهم؛ ومع كل هذا يأتي رد فعلهم منافيا تماما لضعف موقفهم وضلال معتقدهم، إنه رد البطش للخلاص تماما ممن عرى حقيقتهم لأنفسهم؛ لذلك آثروا إحراقه عن بقية العقوبات إحراقا لا يبقي على شيء من أثره؛ وهذا ما عبر عنه القرآن من خلال الحوار -أيضا-: (**قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ**)[3]، إن التعبير بالفعل (**حَرِّقُوهُ**) يبين لك ما تحمله قلوبهم تجاه (إبراهيم)، إن قول القرآن على لسانهم: (**وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ**) بعدما تحطمت؛ يكشف من خلال المفارقة أبعاد عقلية هؤلاء القوم للمستمع!.

وفي الختام يأخذك القرآن إلى مشهد النهاية مباشرة في تطور منطقي -وتلك هي أبرز سمات القصة القرآنية-؛ لأن المحذوف لا يضيف إلى فكرة السياق شيئا، فيقول تعالى: (**قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ*وَأَرَادُواْ**

(١) سورة الأنبياء- الآية (٦٦).

(٢) سورة الأنبياء- الآية (٦٧).

(٣) سورة الأنبياء- الآية (٦٨).

بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ * وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ *وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ).[١]

لاشك بأن النهاية هي انتصار لـ(إبراهيم) الذي يمثل طريق الحق غير مبالٍ بأي تهديد أو تعذيب في سبيله؛ وجُمع معه في هذه النهاية المنبثقة من الأحداث السابقة سيدنا (لوط)–عليه السلام–؛ للجمع بينهما في مواجهة مثل هذه العقلية الحمقاء، وفي الصبر على أذاهم حتى النهاية المنتصرة بالنجاة معا من سوء ما أعد لهما قومهما وهجرتهما إلى الأرض المباركة، ويضاعف القرآن شعور السعادة في مشهد النهاية باستدعاء النهاية الكلية(المغلقة) لمسيرة (إبراهيم) المتمثلة في الذرية الصالحة بعد الكهولة؛ ليكون نبراس الهداية الذي يضيء الدنيا بنور التوحيد بعد ظلمات الشرك والضلال كخبر سعيد يتكرر نهاية قصص (إبراهيم)؛ ليؤكد القرآن على أن هذه هي سنة الله في كل تدابيره؛ مما يرفع الحزن والغم عن نبينا(محمد) – صلى الله عليه وسلم– ويزيده تثبيتا وإيمانا بأن النهاية مع الصبر والتحمل في سبيل الحق ستكون سعيدة لا محالة–وقد كانت بالهجرة أيضا–، وقد ساعد على إبراز فكرة هذه القصة ما غلب على مفرداتها من معاني:(التهديد والوعيد من نار وإحراق، ثم البرد والسلام والنجاة وسعة الرحمة والعطاء).

(١) سورة الأنبياء– الآيات (٦٩: ٧٣).

الفكرة الثالثة: بر الأنبياء بآبائهم وأهليهم (رحمة قلوبهم)

هذه الفكرة بارزة في سورة (مريم)[١]، وإن إرهاصات هذه الرحمة تظهر في معاملة الأنبياء لأهليهم[٢]، كما جاء في حق سيدنا (يحيى) -عليه السلام-: (وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا)[٣]، وجاء في حق(عيسى) -عليه السلام-:(وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا)[٤]؛ وذلك في إشارة سريعة لا تحتاج إلى شواهد واستدلال؛ لِما عرف من صلاح الآباء والأبناء في النموذجين السابقين، ثم تأتي قصة (إبراهيم)- عليه السلام- بصورة مغايرة للقصتين السابقتين من حيث التعامل مع الأب الكافر وأبعاد بره؛ لذا يلاحظ أن القرآن الكريم قد جاء بحوار أبيه في هذه السورة ما لم يذكر في سورة أخرى؛ لأن الفكرة الحالية تحتاج إليه احتياجا ضروريا؛ فيقول تعالى مخاطبا سيدنا (محمد) -صلى الله عليه وسلم-: **(وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا)**.[٥]

مدخل متوائم مع أحداث القصة، وفي ذات الوقت يتناص مع مدخل قصتي (زكريا) و(مريم)-عليهما السلام- السابقتين، فجميعها تذكير حسنٌ لسيدنا (محمد)؛ لذا بدأ بالفعل الأمر المعطوف على القصتين

(١) لقد غلب اسم الرحمن أسماء الله الحسنى في المجيء بهذه السورة، فجاء ست عشرة مرة غير معاني الرحمة التي تناثرت في ثنايا تلك السورة، بل استُفتحت بعد الحروف المقطعة بقوله تعالى: **(ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ)**، سورة مريم، الآية (٢)، حيث جاءت تاء الرحمة مفتوحة(**رَحۡمَتِ**)؛ لمواءمة سعة هذه الرحمة التي أحاط الله بها الأنبياء والمتقين في هذه السورة.

(٢)- عن عائشة - رضي الله عنها- أنها قالت: قال-صلى الله عليه وسلم-:**(خيرُكُم خَيرُكُم لأَهْلِهِ وأَنا خيرُكُم لأَهْلي...)**. سنن الترمذي- أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي- حديث رقم(٣٨٩٥)- تحقيق/شعيب الأرنؤوط - دار الرسالة العالمية- ط١.

(٣) سورة مريم - الآية(١٤).

(٤) سورة مريم - الآية (٣٢).

(٥) سورة مريم - الآية (٤١).

السابقتين(وَٱذْكُرْ) الذي يحمل معنى الإعلام والتوجيه، وقيل:"هو معطوف على قوله تعالى:(وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ...)[١]، فالمراد أنذرهم ذاك واذكر لهم قصة (إبراهيم)عليه السلام؛ فإنهم ينتمون إليه وعساهم باستماع قصته يقلعون عما هم فيه من القبح"[٢] وتقطيع الأرحام.

"وهذا الاستهلال فيه من البراعة ما فيه حيث يشوق النفس إلى متابعة أحداث القصة ويلفت الأسماع إلى الإصغاء والانتباه لما يرد من أمر عظيم، ويبين مكانة (إبراهيم)العظيمة وقدره الجليل بما يشتمل عليه من ثناء جميل وشهادة عظيمة من رب العالمين"[٣]؛ لاسيما مخالفته لعقيدة أبيه مع رحمته به وتصديقه للحق تصديقا ظهر أثره في كل مواقفه؛ لذا جاء التعبير بصيغة المبالغة(صِدِّيق)، ومن ثم تبدأ الأحداث بعد هذا الاستهلال اليقيني، فيقول تعالى:

(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا*يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا*يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا*يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا).[٤]

إن النداء المتكرر بـ(يَـٰٓأَبَتِ) في بداية كل دعوات (إبراهيم)؛ يبرز مدى المحبة والتوقير اللذين يحملهما لأبيه على الرغم من عمق الخلاف بينهما

(١) سورة مريم- من الآية (٣٩).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني(تفسير الألوسي)، شهاب الدين الألوسي،م ٨،جـ ١٦، صـ٩٥- دار الفكر.

(٣) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام- د. الشحات محمد أبوستيت- صـ٢٧- مطبعة الإيمان- ط١.

(٤) سورة مريم - الآيات(٤٢: ٤٥).

لاختلاف العقيدة، وإن التنوع في دعوة (إبراهيم) لأبيه من حيث:

١- الاتكاء على المنطق الذي يبرزه الاستفهام المجازي الذي يوحي بالتعجب مما يعبد أبوه؛ تلميحا غير صريح بشدة مفارقته للعقل والصواب: **(لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا)**.

٢- الترغيب لأبيه وتحفيزه من خلال الجملة الإسمية وأسلوب الشرط؛ مما يضاعفان من قوة اليقين والثقة من حسن عاقبة ما يدعوه إليه إبنه: **(يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا)**.

٣- التنبيه والتذكير المركبين من أسلوب النهي المبرر بالشيطان، والتعليل المؤكد بعصيان (الرحمن)؛ لإجلاء مدى ضلال عقيدته ومفارقتها للحق بصورة غير مباشرة:**(يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا)**.

٤- الوعيد والترهيب بالعذاب ومن خباثة الجوار آنذاك؛ مما يهول من سوء المصير بصورة إيحائية-أيضا-:**(يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا)**، وتكمن المفارقة في أن (إبراهيم) عبر بالمس وبالرحمن مع العذاب؛ فدلت المفارقة على شدة خوفه من أن يُمسَ أبوه بأدنى أدنى درجات العذاب، فجاء الترهيب والتخويف بروح الشفقة والخوف، وهو ما يعرف بـ" التوصل إلى وصول الغرض من المخاطب، والملاطفة له في بلوغ المعنى المقصود، من حيث لا يشعر به ، وفي ذلك من الغرائب والدقائق ما يوثق السامع ويطربه؛ لأن مبنى صناعة التأليف عليه، ومنشأها منه".[١]

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور- (ابن الأثير)- صـ ٢٣٧- تحقيق وتعليق: مصطفى جواد، وجميل سعيد مطبعة- المجمع العلمي العراقي- ١٣٧٥هـ -١٩٥٦م .

إن هذا التنوع في الأسلوب القرآني في عرض حوار (إبراهيم) مع أبيه يبين أن (إبراهيم) سلك شتى الأساليب المهذبة لإقناع أبيه؛ رحمة به وحرصا عليه؛ ليكشف القرآن عن الشخصية الأخرى من خلال الحوار –أيضا–، فيقول تعالى على لسانها: **(قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا).**(١)

إن قصرَ حوار والد (إبراهيم) مقارنة بحوار (إبراهيم) يتوافق مع كونه شخصية ثانوية "يقتصر دورها في نمو الشخصية الرئيسة وإبراز ملامحها"(٢) لاسيما في إجلاء مدى رحمتها؛ فكل حديث أبيه بنيَ على الحماقة والتهديد الصريح لإنهاء الحوار؛ مما يتكشّفُ للمتلقي أبعاد عقلية هذا الأب لاسيما مقابلته لبر ابنه الحريص على هدايته بمنتهى القسوة والغلظة؛ للإشارة إلى استحالة تحول والد (إبراهيم) عن موقفه؛ ومن ثمّ ينهي (إبراهيم) الحوار بل ينهيه القرآن الكريم على لسانه بنهاية مفعمة بالأسى والحسرة وفي ذات الوقت مكللة بالاحترام والمحبة؛ متمثلة في (سلام) مطلق يومئ بفقد الأمل في اهتداء أبيه إلى طريق الحق :

(قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا).(٣)

إن القرآن الكريم جمع بين والد (إبراهيم) وقومه في قول (إبراهيم): **(وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ)** في إشارة بليغة توحي إلى المستمع بمدى معاناة(إبراهيم)–عليه السلام–؛ فإذا كان رد فعل والده جاء على هذا

(١) سورة مريم – الآية (٤٦).

(٢) تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام من ١٨٧٠إلى ١٩٦٧م–إبراهيم السعافين–صـ٤٦٣–دار المناهل، بيروت.

(٣) سورة مريم – الآيتان(٤٧، ٤٨).

المستوى من الإرهاب والتهديد، فما بالك بمن لا تربطه بهم عاطفة الأبوة!؛ مما يهوّل من مأساوية المواقف التي تعرّض لها(إبراهيم) من قِبلِ قومه في سبيل دعوتهم إلى طريق الحق والنجاة؛ ليأتي القرآن الكريم بعد هذه الأحداث المأساوية بالنهاية السعيدة للحق كالعادة؛ فيقول تعالى: **(فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا * وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا)**.[1]

وإن المتأمل في قصص الأنبياء الواردة في سورة(مريم) يلاحظ أن حدثا متشابها يربط بين نهاياتها؛ بأن وهب الله عباده المتقين الخلف الصالح في ظل انعدام الأمل في إنجابهم؛ بل جعل الله خلفهم أنبياء، فبدأت السورة بـ(زكريا ويحيى)، ثم بـ(مريم وعيسى)، ثم (إبراهيم وإسحاق ويعقوب)-عليهم السلام-؛ لعله إبراز لمدى رحمة الله بعباده المتقين رحمة لا حدود لها؛ فيهبهم خير ما يقر أعينهم في الدنيا بمعجزة ربانية اختصهم بها؛ لأنهم أهل لآيات ربهم؛ بل لإثبات أن الراحمين يرحمهم الله، فكلمة السر في (شعور الرحمة).

ومن المفردات الدالة على فكرة هذه القصة كلمة **(يَٰٓأَبَتِ)**بإثبات حرف النداء**(يا)**؛ للدلالة على مدى التعظيم والتوقير المنبثقين من شدة المحبة التي يحملها (إبراهيم) لأبيه؛ ومن ثم انتشرت هذه الكلمة في بداية كل حوار لـ(إبراهيم) مع أبيه إلا لما فقد الأمل في نجاته، فقال تعالى على لسانه: **(قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا)**؛ ولعل هذا الشعور كان مميتا لـ(إبراهيم)؛ لذلك خفف عن نفسه بهذا الاستغفار معربا عن بصيص أمل بداخله؛ وهذا شعور الرحماء مع أحبتهم، ولئن جمعه مع قومه بعد تبيُّنٍ

(١) سورة مريم- الآيتان(٤٩، ٥٠).

من أمره في الآية التالية :(وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا) فجمع بين أبيه وقومه في نهايتهم المأساوية (صراع نفسي بين ما يتمناه وحقيقة الواقع).

الفكرة الرابعة : العبرة لمن يعتبر

تعتني سورة (العنكبوت) بإيضاح أبعاد الابتلاء والغاية منه، مؤكدة على أن الابتلاء هو سنة الله في أرضه منذ آدم –عليه السلام– حتى تقوم الساعة[١]؛ وإن من محاور موضوع الابتلاء (الاعتبار وحسن الاقتداء)؛ ومن ثم اعتمد القرآن في إيضاح أبعاد هذه الفكرة بعرضه قصص الأقوام السابقة بصورة يستقي المؤمنون منها العبرة لاسيما رسول القرآن –صلى الله عليه وسلم– الذي أرسله الله إلى قومه كما أرسل رسله من قبله؛ وما ذلك إلا ليرفع عن أقوامهم العذر والاعتذار، ويشهدهم على أنفسهم يوم يقول الأشهاد، وقد بدأت هذه الأمثلة بقصة سيدنا (نوح)–عليه السلام– كأول رسول أرسل إلى قومه ومكث فيهم ما لم يمكث مثله من الرسل؛ لذا كان له الاستفتاح لهذه الأمثلة القصصية، فيقول تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ*فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ)[٢]، تبليغ استمر لألف سنة إلا خمسين، عمد القرآن ذكر المدة كدليل على أن (نوح) قد بَرأت ذمته بحسن تبليغه قومه عما جاءه من ربه؛ ومع ذلك لم تسفر طول المدة

(١)– قال تعالى:(أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ*وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ)سورة العنكبوت–الآيتان(٢،٣)،فإن آيتي الاستفتاح بعد الحروف المقطعة تبلور هذه الفكرة بكافة دلالاتها ومحاورها.

(٢) سورة العنكبوت– الآيتان(١٤، ١٥).

إلا عن إيمان قلةٍ حَمَلَتْهم سفينته-عليه السلام-؛ لينجيهم الله من سوء عاقبة قومهم؛ ليستخلص النبي والمؤمنون العبرة النافعة لاسيما النبي في مهمة تبليغ رسالته.

ومن هنا لم تخرج أحداث القصص التالية عن هذا الإطار، وتبدأ أحداثها مباشرة مستغنية عن مدخل، فبدأت أحداث قصة (إبراهيم) مع قومه بقوله تعالى:

(وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ)(١).

لمّا كانت أحداث القصة تدور في سياق الابتلاء من حيث حسن الاعتبار والاقتداء؛ جاء التركيز على تصوير موقف الطرفين من حيث ما بُلغا من ربهما، وعاقبة كليهما بناء على رد فعلهما، وفي كليهما عبرة لرسولنا-صلى الله عليه وسلم- ولمن أراد العبرة؛ ومن ثمّ استُفتحت الآيات بقوله تعالى: **(وَإِبْرَٰهِيمَ)** مقدما على**(إِذْ قَالَ)** على غير العادة، معطوفا على قوله تعالى: **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا...)**؛ حيث بُني المشهد الأول على أساس تسليط الضوء على موقف (إبراهيم)من الابتلاء بالرسالة؛ لذا جاء الحوار مقصورا عليه وفي ذلك الإطار، وقد اتكأ-عليه السلام- في تبليغ رسالته على أسلوب الموازنة بين المعبود الحق وأصنامهم التي ما عبر عنها إلا بـ**(الأَوْثَان) وَ(تَخْلُقُونَ) و(إِفْكًا)**، وكل واحدة من هذه الكلمات دليل على

(١) سورة العنكبوت- الآيات (١٦، ١٧، ١٨).

افتقادهم لما يؤهلهم إلى عقد موازنة؛ لذلك استشهد(إبراهيم)بعدها بما يؤكد مراده؛ بأنهم لا يقدرون على الشيء الضروري لكل إنسان في الحياة، وهو الرزق:(لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا) بتنكير (رِزْق) للتقليل؛ لذلك نص في حواره على أن الأحق بالعبادة والشكر هو من يرزقكم خاصة إذا كان إليه مرجعكم:(فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بتعريف (ٱلرِّزْق) للإحاطة والشمول؛ فما أوجز قوله-عليه السلام- وأبينه!، ومن ثمّ ينهي القرآن حوار (إبراهيم) في هذا السياق بآية تبلور أبرز ملامح فكرة هذه القصة: (وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ) بتوظيف الاعتبار بالأمم السابقة في دعوة (إبراهيم)؛ محذرا قومه ألا يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم؛ للإشارة إلى أن الاعتبار بالسابقين سنة المرسلين في تبليغ رسالتهم، وتُختم الآية بقوله تعالى: (وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ)؛ كعبرة موجزة يسير كل الأنبياء على هديها في تأدية رسالتهم، وعلى رأسهم (محمد) -صلى الله عليه وسلم- المعني بالخطاب والاعتبار هنا؛ لتكون العبارة السلسلة في الانتقال بعدها مِن حوار (إبراهيم) إلى حوار آخر من الله -جل في علاه- مخاطبا به رسول القرآن-صلى الله عليه وسلم-، فيقول تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأَخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ * وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[1].

(١) سورة العنكبوت- الآيات(١٩ : ٢٣).

لعل هذا الخطاب هو (**وقفة وصفية**)[1] يعلق الخالق فيها على حال خلقه مما يصرفه لهم من آيات جديرة بالاعتبار وحسن الاقتداء، إذ يقول الله مخاطبا رسوله مستفتحا قوله باستفهام مجازي مقوّم بالرؤية (**أَوَلَمْ يَرَوْاْ**) كأكثر الحواس يقينا وتثبتا من صحة ما يقوله-عز وجل-ويستشهد به في خطابه، والذي يتصل اتصالا وثيقا بفكرة هذه القصة؛ مما يضاعف التعجب ممن يتجاهلون هذه الحقائق، بعدم اعتبارهم بمن كانوا قبلهم، ولم يأخذوا العظة مما أصابهم؛ فأين هؤلاء، وكيف استبدلهم الله بصورة اعتيادية خالية من أي مشقة ولا نصب؟! قل لهم يا محمد لا تقفوا على ما بين أيديكم من أخبار الأقوام وما اعتادت عليه أعينكم، بل سيروا في كل بلد واسألوا عمن سكنوه وآيات الله فيهم؟! لقد ولوا جميعا إلى آخرتهم تاركين ممتلكاتهم وسلطانهم، وإنكم لا تملكون من أنفسكم إلا ما أراده الله بكم كإرادته فيمن قبلكم الذين أصبحوا ماضيا لكم؛ وهذا كافٍ لإظهار مدى عجزكم أمام قدرته -جل في علاه- في الأرض، وأما في السماء فإما رحمة وإما عذاب، وليس للكافرين من شفيع أو منقذ يومئذ؛ لأنهم يتجاهلون هذه الحقائق وينكرون رحمتي التي أحاطتهم في كل شؤونهم؛ لذلك لن يرحمهم ربهم من عذابه الأليم يومئذ.

يندمج خطاب الخالق لرسوله-صلى الله عليه وسلم- مع حوار (إبراهيم) مع قومه؛ وكأنهما حوار واحد يكملان هذا المشهد بما يوسع أفق

(١) "تطلق الوقفة الوصفيّة على عمليّة تعطيل الراوي سرد الأحداث، واللجوء إلى الوصف الذي يوقف حركة الزمن، ويظهر هذا التعريف علاقة الوصف بالسرد، فإذا كان السرد يمثّل تتابع الأحداث في الزمن، فإنّ الوصف يمثّل الأشياء في أحوالها وهيئاتها، وهي تشكّل المكان، وتمتاز المقاطع السرديّة بتلاحم أجزائها بينما في مقاطع الوصف ينعدم مثل هذا التلاحم، وتنبني العلاقة بين الظاهرتين على ما يسمّيه جان ريكاردو Jean Ricardou التنازع النصّيّ، فحيث يطلّ الوصف يختفي السرد، "فالوصف لا ينهض إلاّ على أنقاض السرد الذي يستقبله وينجم عن ذلك صراع بين الاثنين يبدأ بهجوم الوصف واحتلاله للنصّ يتلوه ردّ فعل السرد الذي يأخذ في استعادة مواقعه وتأكيد مكانته في الميدان .أمّا أسلحة المعركة فهي الصّفات والنعوت بالنسبة للوصف والأفعال من جانب السّرد ." مقال بعنوان: (تقنية الوقفات الوصفيّة في عالم غالب هلسا الروائي)- موقع (صحفي)على الشبكة العنكبوتية- نشر بتاريخ ١يوليو ٢٠٠٥.

إفادة نبيه–صلى الله عليه وسلم– في تأدية مهمته؛ ليتحول هذا الموقف الخاص بدعوة قوم (إبراهيم) إلى رسالة عامة إلى رسول العالمين، وبهذا ينتهي المشهد الأول بصورة تامة يدعو كل إنسان إلى عموم الاعتبار بالماضي والحاضر والآخرة إذا أراد الفوز والنجاة .

أما المشهد الآخر يقوم على تسليط الضوء على رد فعل قوم (إبراهيم) من دعواته إياهم؛ فيقول تعالى: (**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**)[١]

عرض القرآن المشهدين وكأنهما مشهد واحد على الرغم من أحداث عديدة تفصل بينهما وضحتها القصص السابقة(**الحذف غير المحدد أو الضمني**)[٢]؛ حتى لا يخرج سياق القصة عن إطار فكرتها التي تعتني بإبراز الفعل ورد الفعل ثم عاقبته، لذلك استفتح المشهد الثاني الذي يمثل رد الفعل بقوله تعالى: (**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ**)؛ فبُنيَ جوابُهم على أسلوب القصر بحصره فيما قرروه بشأن نبيهم–عليه السلام–؛ كإيحاء موجز يحيط بكل أبعاد رد فعلهم وشناعته بصورة موجزة: (**ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ**)، وقد نص القرآن عليه بالتفصيل لبيان مدى معاناة (إبراهيم) في سبيل إبلاغ رسالة ربه؛ فذكر القتل ثم الاتفاق على الحرق بما لم يُذكر في موضع آخر في القرآن الكريم؛ لبيان مدى سلطانهم على (إبراهيم)، وقد أعقب البلاء بالنجاة المنسوبة إلى الله مباشرة من خلال (**فاء**) العطف؛ وإن كان فيها من الإعجاز ما لا يألفه العقل البشري؛ للتأكيد على أن إرادة الله

---

(١) سورة العنكبوت– الآية (٢٤).

(٢) الحذف الضمني: "هو الذي يشتمل عليه السرد دون إشارة له، بل يفهم من السياق". إشكالية الزمن في النص السردي– عبد العالي بوطيب–صـ١٣٨– الهيئة المصرية العامة للكتاب– ط٢، ١٩٩٣م(بتصرف).

هي النافذة كما بين في خطابه السابق لرسول القرآن؛ لذلك ختمت هذه الآية:(**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**)؛ فختمت الآية بقاعدة رئيسة بأن العبرة للمؤمنين المصدقين؛ لذا بنيت على أسلوب التوكيد.

وإن **العبرة الأخرى** تتمثل في بيان عاقبة قوم (إبراهيم) الذين بلغوا في ظلمهم المدى؛ وقد تلت عاقبةَ (إبراهيم)؛ للمقابلة بين العاقبتين، فيقول تعالى على لسان (إبراهيم):(**وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ**).[1]

وتظهر هوة المقابلة بأن (إبراهيم)-عليه السلام- هو من يثبت الجريمة على قومه بأسلوب قصر (**إِنَّمَا**)؛ مما لا يدع مجالا للنفي والتبرئة، ونص بعدها على العقوبة -أيضا- بعد الفصل زمانيا بحرف العطف(**ثُمَّ**)؛ باعتبار ما سيكون يوم القيامة(**الزمن الاستباقي**)[2]؛ بكونه-عليه السلام- شاهدا عليهم وتقريبا لهول المشهد، وتأكيدا على ما جاء في خطاب الله السابق لرسول القرآن-صلى الله عليه وسلم-؛ لذلك جاء النص على الجريمة بالفعل الماضي(**ٱتَّخَذْتُم**)، وزمن هذا الفعل(**فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا**)؛ وبُني نص العقوبة على الفعل المضارع(**يَكفُرُ**، **وَيَلعَنُ**) الذي يدل على الاستمرارية والتجدد، ثم تذييل الفعلين باسم المكان (**مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ**)؛ مما يدل على الخلود مع فقد الأمل في تغيير العقوبة أو الإفلات منها(**وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ**)، وهذه هي المرة الوحيدة التي يصور القرآن عاقبة قوم (إبراهيم)؛ لشدة اتصالها بفكرة هذه القصة، وفيها تفسير وتمثيل لخطاب الله لسيدنا (محمد)-صلى الله عليه

(١) سورة العنكبوت- الآية (٢٥).

(٢) يعرفه المؤلف الفرنسي/ جيرار جينيت بأنه:(سرد حدث زمني مستقبلي بالتكهن به). لكن التكهن خاص بالبشر؛ فإذا كان القرآن هو السارد؛ خرج الحدث من التكهن بوقوعه إلى التيقن من حتمية وقوعه.

وسلم- السابق؛ بأن المشركين سوف يُواجَهون بالحق الذي ينكرونه اليوم؛ وإن من شدة إبلاجه أمام أعينهم يومئذ يتبرءون من فظاعة جرائمهم، ويتبادلون التهم واللعنات فيما بينهم، لكن ليس لهم مأوى إلا النار، وما لهم يومئذ من شافعين؛ فبدون شك إن هذا المشهد المستدعى من الآخرة قبل تحققه لفيه العبرة والرهبة لذوي العقول.

وتأتي النهاية بمشهد تجتاحه السعادة؛ تجمع بين حسن العاقبة لـ(إبراهيم) في الدنيا والآخرة معا؛ لمواكبة فكرة السياق؛ فيقول تعالى: **(فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ * وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)**(١)

يأتي مشهد النهاية ممزوجا بحدث سار متصل بما سبق من أحداث يتمثل في بيان أثر دعوة (إبراهيم) على قومه في إيمان (لوط) بربه، ثم هجرتهما إلى الأرض المباركة بأمر من العزيز الحكيم، "وجملة(**فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ**) معترضة بين الإخبار عن إبراهيم، وفائدة الاعتراض بيان من آمن به بعد طول دعوته وشدة ما ناله من إيذاء"(٢)، وتتكثف سعادة النهاية باستدعاء النهاية الأساسية لقصة (إبراهيم) الكلية بجزيل عطاء الله له بأن جعل في ذريته النبوة والكتاب وغيره من ثواب الدنيا، ولكن الجزاء الأوفى في الآخرة؛ ولا شك بأن في هذا العبرة النافعة لمن يعتبر.

(١) سورة العنكبوت- الآيتان(٢٦، ٢٧).

(٢) تفسير التحرير والتنوير- الإمام الشيخ/ محمد الطاهر بن عاشور- جـ ٢٠ - صـ ٢٣٦- الدار التونسية للنشر.

الفكرة الخامسة : انعدام نفع كل ما دون الله-جل في علاه-

قد يغلب على آيات سورة (الشعراء)فكرة رئيسة؛ هي البرهان على أن النافع هو الله وحده؛ يؤكد هذه الفكرة اجتماع (العزة والرحمة)معًا في آية واحدة تتكرر على امتداد هذه السورة، قال تعالى:(**وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ**)[1]؛ فإن المؤمن على امتداد ابتلائه يحتاج إلى إحدى الصفتين؛ العزة إذا ما وقع عليه ظلم؛ والرحمة إذا ما أصابه كرب؛ ومن ثم يشيع في ثنايا سورة (الشعراء) هذه الفكرة وتسيطر على كل قصصها؛ ومنها قصة سيدنا(إبراهيم)-عليه السلام-؛ لأنها الأقرب أثرا في تجسيد هذه الفكرة على لسان (إبراهيم) ومدى قوة يقينه في نصرة ربه له على قومه؛ لذا تبدأ أحداث هذه القصة بعد انتهاء قصة انتصار (موسى -عليه السلام- على فرعون وجنوده والسحرة) التي خلصت أحداثها إلى عظة يبرزها ويوجزها هاتان الآيتان -أيضا-: (**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ*وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ**)[2]، فهاتان الآيتان بمثابة الاتصال التام والنهاية المشتركة بين القصة السابقة والتالية التي مُهِّدَ لها بقوله تعالى: (**وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ**)[3] بفعل أمر إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ للتأكيد على

(١) تكررت هاتان الصفتان مجتمعتين في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة، منها تسع مرات في سورة (الشعراء)وحدها بذات الأسلوب التوكيدي والضمير المخاطب إلا في المرة الأخيرة من هذه السورة التي يأمر الله فيها رسوله-صلى الله عليه وسلم- بأن يتوكل عليه في كل أحواله (**وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ**) سورة الشعراء، الآية(﴿٢١٧﴾)، وهذا الخطاب المباشر بهاتين الصفتين لم يَرِدْ إلا في سورة الشعراء؛ وهذا إن دل فإنما يدل على مدى قرب الله من المؤمن إذا ما استجدى عزته أو طلب رحمته، بل عليه أن يجعل كل توكله على العزيز الرحيم كما في المرة التاسعة والأخيرة في خطابه لرسول القرآن؛ بما يتواءم مع فكرة السياق في تلك السورة وما تحمله قصصها من عظات تؤكد على انعدام نفع ما دون الله مهما بلغ الظالم من القوة والسلطان.

(٢) سورة الشعراء- الآيتان(٦٧، ٦٨).

(٣) سورة الشعراء- الآية (٦٩).

ضرورة إخبار أمتك بهذا القصص المبين لما فيه من النفع والموعظة الضرورية لصلاح أحوالهم؛ لذا يمكن القول بأن المدخل إذا جاء بـ(**نبئهم ، أو اتل عليهم)**؛ يومئ بأن فكرة القصة أكثر اتصالا في نفعها بأمة النبي– صلى الله عليه وسلم– كما هو الحال في هذه القصة، وتبدأ الأحداث بقوله تعالى: **(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ*أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ).**[1]

فهذه القصة تقوم على حدث رئيس آثر القرآن عرضه على تقنية **(المشهد)**[2]؛ لإبراز تفاصيله المهمة في سياق إثبات صحة فكرته؛ حيث يقوم الحدث على تصوير مناظرة بين (إبراهيم)–عليه السلام– وبين قومه حول ماهية ما يعبدون وحدود قدراتهم، ويمسك بزمام المناظرة سيدنا (إبراهيم)–عليه السلام–؛ لذا جاء الحوار على لسانه إلا جملتين أتى بهما القرآن على لسان قوم (إبراهيم) أوجز بهما ما قد يدور في أذهان المستمعين دون أن يخرج عن فكرة السياق، فقال تعالى على لسانهم في المرة الأولى: **(قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ)** في ردهم على(إبراهيم) من خلال استفهامه عما هو معلوم حقيقته:**(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ)**؛ فجاء السؤال بـ**(مَا)** –لطلب التصور–؛ للإحاطة بهول التعجب الذي يثقل نفس (إبراهيم) ويثير اندهاشه من عبادة قومه لأحجار، وإن تعبير القرآن باسم

(١) سورة الشعراء– الآيات(٧٠: ٧٧).

(٢) "يعطي المشهد للقارئ إحساسا بالمشاركة الحادة في الفعل، إذ إنه يسمع عنه معاصرا وقوعه كما يقع بالضبط، في لحظة وقوعه نفسها، ولا يفصل بين الفعل وسماعه سوى البرهة التي يستغرقها صوت الروائي في قوله، لذلك يستخدم المشهد اللحظات المشحونة، ويقدم الراوي دائما ذروة سياق من الأفعال وتأزمها في مشهد". بناء الرواية ، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ – د. سيزا قاسم- صـ ٩٥- مكتبة الأسرة-٢٠٠٤م.

الفاعل (عَٰكِفِينَ) في رد قوم (إبراهيم)؛ أظهر مدى قوة عزمهم وصلابة موقفهم؛ إشارة إلى استحالة زعزعتهم عن معتقدهم.

ويأتي القرآن بالجملة الثانية على لسانهم:(قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ) في الرد على سؤال (إبراهيم): (قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ*أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ)؛ وقد جاء الاستفهام بـ(هل) -لطلب التصديق- عما هو مؤكد نفيه لـ(إبراهيم) ولقومه كشمس الظهيرة؛ فأفاد ردهم باستحالة إقناعهم بتغيير معتقدهم؛ فلا تخرج الأحداث عن فكرة السياق لتساؤلات أخرى؛ فحافظ القرآن على الحوار في إطار فكرة القصة، وأتى بالحوار على مرحلتين تزيدان الفكرة بهاء وجلاء، **المرحلة الأولى: عدم نفع ما دون الله،** ويجسدها هذا الحوار السابق المتبادل بين (إبراهيم) وقومه حول ماهية آلهتهم وقدراتهم إلى قوله تعالى: (قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ)؛ ليتكشف في نهاية هذا الحوار حقيقة آلهتهم وزيف ما يلصقون بهم من بطولات وهمية من خلال تحديه لهم عيانا؛ لفضح إمكاناتهم إزاء ما يمكنهم فعله معه؛ للتأكيد على عدم جدواهم وانعدام قدراتهم مطلقا، لذلك جاء التعبير بالرؤية التي لا يمكن إنكارها، "فالتعبير بالرؤية دون العلم ونحوه لما في الرؤية من قوة في إثبات البطلان لقيامها على المشاهدة والتأمل"[1] .

المرحلة الثانية: إظهار مدى نفع الله رب العالمين، وفي هذه المرحلة لا يجري الحوار غير (إبراهيم)متجاهلا فيه قومه على الرغم من أنه يخاطبهم به؛ ليكسبه القرآن صفة الشمولية، فيقول تعالى على لسانه:(ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ*وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ*وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ

(١) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام- د. الشحات محمد أبوستيت- صـ٦٣.

يَشْفِينِ*وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ*وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ*رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ*وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ*وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ*وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ*وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ*يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ*إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)[1].

يبرهن(إبراهيم) بهذه الاستدعاءات من الزمن الماضي والحاضر والمستقبل على أن النافع هو الله وحده على امتداد حياة الإنسان وتباين أحواله، بل تعداه إلى استدعاء نفع الآخرة وأطال الحديث عنه؛ لأنه هو النفع الأَوْلى؛ وقد ختم (إبراهيم) في نهاية هذا التعدد للنفع الرباني بذكر (القلب السليم) بأسلوب قصر(إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)؛ بعد متاع الدنيا(المستثنى منه) الذي أشار إليه بـ(مال وبنون)على سبيل المجاز المرسل لعلاقة (الجزئية)، وقد جاءا منكرين؛ ليدل تنكيرهما على كثرتهما؛ ومع ذلك لا يجديان نفعا، يقابلهما (قلب سليم) الذي جاء منكرا؛ ليوحى تنكيره بمدى ضعفه؛ وعلى الرغم من ضعفه واستسلامه لربه صار أقوى مخلوق بما أحاطه من حسن ثواب الدنيا وثواب الآخرة على سبيل المفارقة؛ حيث قصر سبب السعادة في الدنيا والآخرة معا على القلب السليم؛ فكان هو السبب في اهتداء (إبراهيم) لربه، وبنصرته وحيدا على قومه، ثم كان الإرث الباقي له في آخرته؛ وليس المال والبنون كما يزعم أغلبية الناس؛ ومن ثَمَّ أنهى القرآن هذه المناظرة باستحضار جمال الجنة وإعدادها للمتقين، وإبراز صورة الجحيم وإعدادها للضالين؛ في مقابلة تصويرية تبرهن على مدى أثر المستَنْصَر به على كلا الطرفين، ثُم تُختم النهاية بهاتين الآيتين–أيضا–: (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ*وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ

(١) سورة الشعراء – الآيات(٧٨ : ٨٩)

ٱلرَّحِيمُ)[1]﴾ للتأكيد على الفكرة الرئيسة للسورة؛ بأن النافع هو الله وحده؛ وهو الضار -أيضا-؛ ومن ثم شاعت وتكاثرت المفردات الدالة على النفع والضرر في ثنايا هذا المشهد، نحو(ينفعون- يضرون- يهدين- يطعمني - يسقين- يشفين- لاتخزني- لا ينفع- ...إلخ) من الأمور التي تتوقف على الخالق وحده، ولا يقدر عليها غيره- جل في علاه- .

وهذه القصة لم تختم كالقصص السابقة بذكر(إسحاق ويعقوب)كنهاية سعيدة لـ(إبراهيم)عوضا عما لاقاه في سبيل الحق(نهاية مؤقتة)؛ لأن هذه القصة تعرض مشهدا فكرته (بيان أبعاد النفع الذي يعود على العابد ممن يعبده)؛ لتكون النهاية البليغة باستدعاء مشهد الآخرة (النهاية الحقيقية أو الشاملة) الذي يبرز انعدام فاعلية كل معبود أمام معبود واحد يرجع إليه أمر جميع الأطراف(عبدا ومعبودا)؛ لذا افتتحت هذه النهاية بفعلين ماضيين يدلان على شدة القرب والتحقق سواء مع الجنة(أُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ)،أو مع النار (وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ)، مع تسليط الضوء أكثر على حال هؤلاء المنتصرين بغير الحق، والبكاء الذي ينتابهم والاتهامات المتبادلة بينهم آنذاك، فيقول تعالى: (وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ*وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ*وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ*مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ*فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ*وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ*قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ*تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ*إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ*وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ*فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ*وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ*فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ*إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ*وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ)[2]، وإن مشهد

(١) سورة الشعراء- الآيتان(١٠٣، ١٠٤).

(٢) سورة الشعراء- الآيات : (٩٠ : ١٠٤).

الكافرين في النار قد سبق عرضه بصورة قريبة منه في القصة السابقة في بيان سوء عاقبة قوم (إبراهيم)خاصة؛ لكنه جاء هنا مطلقا دون تعيين بما يتناسب مع فكرة السياق (انعدام نفع كل ما دون الله بصورة مطلقة)؛ مما يضفي على فكرة القصة سمت العمومية.

الفكرة السادسة : ما جزاء الإحسان إلا الإحسان

يمكن القول بأن فكرة رئيسة تسيطر على آيات سورة (الصافات)؛ تَظهر معالمها من دلالة اسمها ومن خلال عرض آياتها لنماذج متباينة من المفسدين والمحسنين(١)، وعاقبة كلا الفريقين، ومما يستشهد بقصصهم في حسن البلاء وشدة الامتثال لأوامر الله-جل في علاه- سيدنا (إبراهيم) -عليه السلام-.

ويمهد القرآن لعرض أحداث هذه القصة بقوله تعالى: **(وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ)**(٢) لربطها بقصة سيدنا (نوح) -عليه السلام-؛ تبيانا لقوله تعالى الوارد في نهاية قصة (نوح)-عليه السلام-(**وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ* سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ*إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ)**(٣)؛ للجمع بين الرسولين في المنهج والذرية، وفي الإحسان موضوع السياق؛ لبيان مدى الاتصال التام بين القصتين.

وقد بدأت قصة (إبراهيم)-عليه السلام- في هذا السياق بـ**(القلب السليم)** في قوله تعالى: **(إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)**(٤)الذي يأتي للمرة

(١) لقد ذُكر قوله تعالى:(**...كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ**) خمس مرات في سورة الصافات؛ إجلاء وتأكيدا على فكرة هذه السورة.

(٢) سورة الصافات- الآية (٨٣).

(٣) سورة الصافات- الآيات(٧٧: ٨٠).

(٤) سورة الصافات- الآية (٨٤).

الثانية بذات تركيبته المنكرة في قصص (إبراهيم)-عليه السلام-، لكن الفرق بين الحالتين أنه في القصة السابقة أتى في نهايتها، لكن في القصة الحالية أتى في بدايتها؛ فأتى **(قلب سليم)** في النهاية للدلالة على أنه كان سبب النفع الذي حظي به (إبراهيم) في نهاية كل مواقفه لاسيما في الدار الآخرة، ولكن في السياق الحالي جاء مقدما في البداية؛ للدلالة على أن قلبه السليم كان السبب الرئيس في إعانته على إحسان عمله؛ فلا يمكن أن يكون القلب معلقا بربه ويضل طريقه!؛ لذا بدأت القصة بالفعل **(جَآءَ)**بعد الظرف**(إِذْ)** الدال على الزمان؛ وإن الجار والمجرور **(بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)** متعلقان بالفعل **(جَآءَ)**؛ للإشارة إلى أن مجيء (إبراهيم) حينئذ بهذه الكيفية(القلب السليم)؛ هو السبب الرئيس الذي على أثره حدث ما حدث في الآيات التاليات؛ يؤكد هذا تشبيه (القلب السليم) في صورة شيء يحمله (إبراهيم) ويقبل به على ربه؛ فكان الإقبال بهذه الكيفية السبب الرئيس في توفيق (إبراهيم)وهدايته إلى كل قول صائب وفعل صالح في شتى مواقفه على امتداد حياته كما تبيّنُ الأحداث التاليات التي يقول تعالى فيها: **(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ* أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ*فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ * فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ * وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ * فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ * وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى**

ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ * وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ)(١).

لما كانت فكرة هذه القصة هو الثناء على(إبراهيم) لما أبلاه من بلاء حسن؛ فاعتمدت على تقنية "(**الخلاصة**) بالمرور السريع على فترات زمنية طويلة، وتقديم عام للمشاهد والربط بينها، وتقديم عام للشخصية الرئيسة، وعرض شخصيات ثانوية لا يتسع النص لمعالجتها معالجة تفصيلية، والإشارة السريعة إلى الثغرات الزمنية، وما وقع فيها من أحداث، تقديم الاسترجاع"(٢)، فظهرت براعة القصص القرآني في أنك تقرأ كل الأحداث المتباعدة كأنها متصلة ومترابطة ذات حبكة قصصية محكمة، فجمعت هذه القصة شتى مواقف (إبراهيم)–عليه السلام– في صورة موجزة جدًا، متجاوزة الخطوط الزمنية بين هذه الأحداث، تسلط كل الضوء على مدى إحسانه وامتثاله لأمر ربه غير مبال بكل التهديدات التي واجهته أو التضحيات التي أرهقته في كل موقف؛ للتأكيد على شدة انتصاره لربه وبربه الذي كان معه على امتداد هذه المواقف، وهذا يعلمنا أن إحسان المحسن لا يتجزأ ولا يضيع جزاء إحسانه .

ولم يحك القرآن عن عزم (إبراهيم) على ذبح ابنه الوحيد آنذاك (إسماعيل)–عليهما السلام– إلا في هذه القصة؛ لأن هذا الحدث يمثل الموقف الإنساني الأبرز على الإطلاق للامتثال لأمر الله؛ مما ضاعف حُسْنَ (إبراهيم) أضعافا، وكثف الدلالة على شدة امتثاله تكثيفا؛ فما أعظم مشهد ذبح (إسماعيل)–عليه السلام–!، ذلك الصغير الذي ينساق لأمر أبيه الذي ينساق لأمر ربه، ولا أشد إثارة وتأثرا من قول الغلام لأبيه:**(قَالَ يَٰٓأَبَتِ**

(١) سورة الصافات– الآيات(٨٥ : ١٠٨).
(٢) بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ – د. سيزا قاسم- صـ ٨٢(بتصرف).

ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ)!؛ لهذا جاء(إبراهيم) وابنه(إسماعيل)-عليهما السلام- متصدرين للأمثلة القرآنية والإنسانية في إبلاج هذه الفكرة مطلقا؛ ليعلق القرآن على هذا المشهد خاصة بقوله تعالى المؤكد بشتى المؤكدات الأسلوبية:(إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ)، "وإسناد الاستسلام لهما معا(فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ)؛ لأنهما مشتركان فيه، فإبراهيم خضع لأمر ربه بذبح ولده مع في ذلك من المشقة والألم، وإسماعيل أطاع والده فيما أمر به الله تعالى وصبر على ذلك"[1].

وتأتي النهاية متوافقة مع فكرة القصة بجمعها بين الثناء وحسن الجزاء؛ وتتكئ على السرد وحده بعدما وثق الحوار سالفا المشاهد الشاهدة على أبعاد هذا الإحسان، فيقول تعالى بعد انتهاء الأحداث: (سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ * كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ * إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ * وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ)[2]، فالثناء الحق هو ما يسرده الآخرون عنك، فما بالك إذا كان من رب العباد؟!.

وقد ختمت القصة بقوله تعالى: (وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ)؛ لعدم الإذعان بأن كل من يأتي من هذا النسل هو محسن فحسب؛ كما يدّعي بعض أهل الكتاب ويفتخرون، "وفيه تنبيه على أن الخبيث والطيب لا يجري أمرهما على العرق والعنصر، فقد يلد البر الفاجر، والفاجر البر، وعلى أن فساد الأعقاب لا يعد غضاضة على الآباء، وأن مناط

(١) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام- د. الشحات محمد أبوستيت- صـ١٠٥(بتصرف).

(٢) سورة الصافات- الآيات(١٠٩ : ١١٣)

الفضل هو خصال الذات، وما اكتسب المرء من الصالحات، وأما كرامة الآباء فتكملة للكمال، وباعث على الاتسام بفضائل الخلال، فكان في هذه التكملة إبطاء غرور المشركين بأنهم ذرية إبراهيم وأنها مزية لا يعادلها الدخول في الإسلام، وأنهم الأولى بالمسج الحرام"[١].

(١) تفسير التحرير والتنوير–الإمام الشيخ/ محمد الطاهر بن عاشور– جـ٢٣– صـ ١٦٢–الدار التونسية للنشر.

المبحث الثاني : بشرى إبراهيم بإسحاق ويعقوب-عليهم السلام-

مدخل:

لماذا يذكر القرآن في غالبية نهاية قصص (إبراهيم) -عليه السلام- بأن الله وهب (إبراهيم) (إسحاق ويعقوب) دون ذكره لـ(إسماعيل)-عليهم السلام- ؟

لعل الجواب في مولد النبي (إسحاق)-عليه السلام- الذي جاء في بشرى بشرها الله -جل ذي علاه- (إبراهيم) وزوجه(سارا)-عليهما السلام- بعد انعدام الأمل لديهما في الإنجاب لكبر سنهما وعقم زوجته، فكان ذلك بمثابة الفضل العظيم الذي توج الله به نهاية قصة مسيرة (إبراهيم) -عليه السلام- في الدنيا؛ ولولا (إسحاق) ما كان (يعقوب)-عليهما السلام-؛ إشارة إلى بقية نسله من المرسلين على امتداد الأزمان؛ بخلاف (إسماعيل)-عليه السلام- الذي جاء إنجابه بصورة طبيعية لا يتخللها عجب؛ لقدرة الزوجين على الإنجاب، كما أن مولده لم يكن في نهاية عمر (إبراهيم) -عليه السلام-.

وقد اعتمدتُ في تحليل قِصص المبحث الأول على تحديد السياق العام للسورة القرآنية التي وردت فيها كل قصة؛ لإبراز فكرتها التي تتحكم في كل أبنيتها المختلفة عن غيرها اختلافا ملحوظا؛ لسعة أحداثها وتنوع مشاهدها وتعدد شخصياتها وتباين لغتها بصورة بارزة، لكن في النماذج التالية اعتني بإبراز الاختلاف بينها لندرته؛ لأنها محكومة بحدث محدد معلوم المكان والزمان والأشخاص والحوار والغاية إلى حد كبير؛ مما يصعّب الإمساك باختلاف بين هذه النماذج؛ مما ذهب البعض إلى القول بتكرار القصص القرآني لذاته؛ وهذا انتقاص من قدر القرآن وبلاغته التي لا يحيط بها بلاغة الكلام.

* وأبدأ بما ورد في سورة **(الحجر)** التي اعتنت بإبراز عاقبة المكذبين واحتواء الخالق لعباده المتقين؛ ومن ثمّ تعرض السورة قصة (آدم)-عليه السلام- وإبليس، وكم كان إبليس حاقدا على (آدم) حقدا جعله يوقف كل حياته وعمله في إغواء نسل(آدم) عن طريق ربهم الذي قد طرد إبليس من رحمته بسبب عدم طاعته لأمره لمرة واحدة!؛ وقد توعد الله كل من اتبعه من بني آدم بعذاب أليم:(**قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ *إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ*وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ**)[(١)]؛ مما يطرح هذا الوعد والوعيد باليأس وانقطاع الأمل في نفوس كل من تملكهم الشيطان وأغواهم قياسا بما فعله الله مع إبليس؛ بل يظن البعض بأن الشدة تغلب على رحمة خالقهم؛ ومن ثمّ يسن الخالق قانونا ربانيا يوحي بالتفاؤل والأمل مهما تباعد الإنسان عن نهج ربه وأطال في اتباع إبليس، فيقول تعالى: **(نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ)**.[(٢)]

يلاحظ أن هذا القانون الرباني بني على التوكيد والتخصيص والانفراد من خلال تعريف الحالتين(**أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ**) و (**عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ**)، وهذا يشير إلى أن هذا الباب خاص بالله ولا يشاركه فيه أحد شكلا ومضمونا؛ فهو يجمع بين شدة الترغيب في الأول وبين شدة الترهيب في الثاني، وبدأ بالغفور الرحيم؛ للدلالة على اتساع الجزء الأول سعةً تغلب على الجزء الثاني؛ فما يجهل الأول ويضله إلا شخص غير جدير بأي رحمة من ربه، مما يستحق العذاب الأليم، ومن ثمّ يأتي القرآن بالمثل

(١) سورة الحجر- الآيات(٤١، ٤٢، ٤٣).

(٢) سورة الحجر- الآيتان(٤٩، ٥٠).

القريب الذي يوضح به أبعاد دلالة هذا القانون الرباني؛ فيستشهد القرآن على الجزء الأول **(نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ)** بقصة سيدنا (إبراهيم)-عليه السلام- التي تبدأ باستهلال يؤكد به على سيدنا (محمد)-صلى الله عليه وسلم- ضرورة إبلاغ أمتك بهذا من خلال خطاب مباشر؛ لما له من أثر كبير في نفع العباد وتقربهم من الله، والدليل على أنها مثل موضح لأبعاد الجزء الأول من القانون الرباني وشديد الاتصال به استفتاحها بذات الفعل **(وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ)**[1] في التمهيد لهذه القصة للدلالة على (كمال الاتصال) بينهما، وكأن الله يقول لنبيه: نبئهم أني أنا الغفور الرحيم، ونبئهم عن ضيف إبراهيم في ذات الخبر، ومن ثمّ تبدأ أحداث القصة مباشرة، فيقول تعالى: **(إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ * قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ * قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ)**[2]

إن القرآن الكريم في تلك الآيات السابقة المجسدة لهذه القصة لم يشر فيها إلى رد (إبراهيم) لسلام ضيفه، ولا لكرمه بهم، ولم يذكر زوجته إطلاقا بخلاف السورتين الأُخريين؛ بل ركز على أمرين فحسب، **الأول:** خوف (إبراهيم) من الضيف الغريب ذي الزيارة المفاجئة المريبة -على حد ظنه-؛ مما زاد من توقع السيء في نفسه:**(قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ)**، على الرغم من أنهم بدأوه بالسلام:**(إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا)**.

الثاني: عدم تصديق(إبراهيم) بداية لما بشرته به الملائكة إلى حد تعجبه

(١) سورة الحجر- الآية (٥١).

(٢) سورة الحجر- الآيات(٥٢ : ٥٦).

واستنكاره لما بشروه به:(قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ)، على الرغم من أنهم طمأنوا خوفه وأخبروه بحقيقتهم وبشروه:(قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ).

ولكن سرعان ما ذابت ظنونه–عليه السلام– واطمأن قلبه وصدّق ضيفه الذي نبهه بأن هذا القنوط لا يصح مع بشرى ربه–عز وجل–:(قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ)، ومن ثمَّ سرعان ما أحسن ظنه وعدّل قوله، فقال تعالى على لسانه: (قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ) كقصة تمثيلية تفصيلية لأبعاد دلالة قوله تعالى:(نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) إلى حد لا يمكن تصوره ولا الإحاطة به، فبعدما ظن (إبراهيم) بأن الظاهر من أمره سوءا، وقابله بالخوف ثم الاستنكار؛ إذا يجعل الله فيه الخير العظيم الذي فاق تخيله؛ ليخرج من ظهر هذا الغلام العليم عدد كبير من الأنبياء والصالحين يقتدي العالمون بحسن إيمانهم وصلاحهم، ويُخَلِّد جميل أثر (إبراهيم) على البشرية أجمعين؛ وفي هذا دليل على أن الله يصرف أمور عباده بما فيه الخير لهم دائما ولو كان ظاهره الشر الذي على إثره قد يسئ العبد الظن بربه؛ ومع ذلك لا يحرمهم من خيره، ويغفر ذنوبهم حتى يرحمهم من الجزء الثاني.

وهذا التغيير في لغة الحوار والحذف لبعض العبارات واجتزاء الحدث وتسليط الضوء على (إبراهيم) دون زوجه في هذه القصة؛ جاء في سياق إبراز الحالة النفسية المسيطرة على إبراهيم–عليه السلام– آنذاك.

وقد عمد القرآن إلى التمثيل بموقف الخليل –عليه السلام– من رحمة ربه الذي قد أثنى على إحسانه ومدح قوة إيمانه من قبل؛ ليطلق عنان الخيال في تخيل من هم دونه من البشر الذين يقابلون رحمة ربهم بهم بالتقليل أو بالاستهانة أو باليأس أو بالتمرد أو بالجحود أو بالكفر ودوام

المعصية، لاشك في أن الصبر عليهم ودوام إرزاقهم، لاسيما مغفرة ذنوبهم وتقبلهم إذا ما رجعوا لخالقهم لشيء يفوق أي رحمة ما عدا رحمة الله- جل في علاه-؛ لذا جاءت أبعاد رحمته -جل في علاه-محددة بالقنوط والضلال؛ مما وسعت كل الآفاق التي ترجوها:**(وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ)**، فلولا سعة هذا الباب لكانت جهنم موعدنا أجمعين.

كذلك آثر القرآن التمثيل بهذه القصة؛ لشدة اتصالها بقصة قوم (لوط)- عليه السلام- من حيث الضيف والزمان وقرب المكان؛ فإن قوم (لوط) يمثلون الشق الآخر من القانون الرباني :**(وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ)**، حيث مُثِّلَ له بعذابهم كعذاب فريد من نوعه عُمد إلى تفصيل مشهده الذي مر بثلاث مراحل فاقت كل عذاب الدنيا، فقال تعالى في ختام قصة قوم (لوط):**(فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ*فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ*إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ).**[1]، وإذا كان عذاب ربنا في الدنيا جاء بهذه الصورة، فما بالك بعذاب الآخرة؟! ليطلق العنان للخيال-أيضا-؛ لذا عبر بـ**(المُتَوَسِّمِينَ)**.

وفي سورة **(<u>الذاريات</u>) يستشهد القرآن بهذه القصة بعد قوله تعالى: **(وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ)**[2]، فهاتان الآياتان تؤكدان على أمرين : **<u>الأول:</u>** إن الله هو الرزاق وحده؛ لذا جاء التعبير بأسلوب القصر من خلال التقديم.

<u>الثاني:</u> إن الله أقسم بأسلوب -لم يتكرر- بتدبير هذه الأرزاق، وإيصال كل رزق لصاحبه كحق على الله؛ حتى يُطمْئِنَ عباده من هذه الناحية تماما، ومثّل هذا الحق بنطق الإنسان في قوله تعالى:**(مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ)**؛ وهذا المثل يحمل عدة أوجه:

---

(١) سورة الحجر- الآيات(٧٣: ٧٥).

(٢) سورة الذاريات- الآيتان(٢٢، ٢٣).

١- مثّلَ هذا (الحق) بجارحة اللسان التي تتميز عن بقية الجوارح بشدة تحكم صاحبه فيما ينطق به؛ مما يكفل له حقا مصونا لا ينازعه فيه أحد؛ مما لا يتوفر لبقية جوارحه.

٢- استدامة أرزاقكم مادمتم أحياء قادرين على السؤال؛ لذلك مثل بجارحة من جوارح الإنسان، وذكر الحال (النطق) وأراد المحل(اللسان)؛ لدلالة النطق على حياة الإنسان ودوره في الطلب.

٣- لبيان مدي انسيابية عملية وصول الرزق لصاحبه، فإن الكلام هو أيسر أنواع السعي لتحصيل الرزق إذا ما قورن بحركتي الأيدي والأرجل؛ إشارة إلى أهمية السعي ولو بأدنى صوره لحصول العبد على رزقة بصورة سببية منطقية.

٤- ويمكن أن يكون هذا المثال لتوضيح الصورة التي أقسم الله عليها في هذا المقام، أي: إنه -جل في علاه- لم يكتف بالقسم في نفسه كغيره، بل نطق به نطقا مسموعا كسماع أصواتكم؛ زيادة في طمأنة عباده؛ لأنه يعلم بأن أرزاقهم سوف تسيطر على جل فكرهم وتستحوذ على معظم سعيهم، وسبب رئيس في كثرة نقمهم ونشوب خلافاتهم؛ ومن ثمّ يعقب هاتين الآيتين ما يفسرهما من خلال مثال واقعي الأحداث؛ زيادة في التوضيح والطمأنة لعباده، فيقول تعالى:

(هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ *فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ)[١]

(١) سورة الذاريات- الآيات(٢٤: ٣٠).

إن هذه القصة قد مُهد لها بآية استفتحت باستفهام، ما لم يحصل في السورتين الأخريين، واستعمل(هل)دون أخواتها؛ لأنها تسأل عن طلب التصديق؛ وهذا يتناسب تماما مع حال الإنسان الذي قلما يصدّق بأن رزقه آتيه لا محالة، ولا يقصر في طلبه ولو كان بين يديه؛ لذا ضرب الله المثل في هذا الباب على الضيف الذي يمثل عارضا زائدا على حاجة أهل البيت من الطعام والشراب؛ فقال تعالى: **(هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ)**؛ فعبر بالفعل **(أَتَىٰ)** مع الملائكة المنزلين من السماء؛ لتناسبه مع إتيانه الرزق لعباده؛ ترادفا مع قوله تعالى:**(وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ)**.

ولفظة **(ٱلْمُكْرَمِينَ)** جاءت نعتا للضيف؛ وهي لم تذكر إلا هنا؛ لأنها ركيزة أساسية مناسبة لفكرة السياق، فهذا الإكرام الذي أحاط به(إبراهيم) ضيفه وأظهره بهذه الصورة النبيلة إنما هو من إكرام الله لـ(إبراهيم)؛ لذا جاءت مبنية على اسم المفعول ممتدة إلى الرزاق؛ للإشارة إلى أن الله لا يرزق بقدر حاجة الإنسان وأهله فحسب، بل يوسعه سعة أعانت (إبراهيم) على إكرام ضيوفه الذين لا يعلم موعد زيارتهم ولا يحيط بعددهم، وهذا ما دل عليه قوله تعالى**(قَوْمٌ مُّنكَرُونَ)**، بل إن القرآن ذكر هنا أن (إبراهيم) لم يأذن ضيفه في الإكرام؛ بل فاجأهم بإحضار عجل وصفه القرآن**(بِعِجْلٍ سَمِينٍ)** اعتناء ببيان الكم؛ وتأكيدا على فكرة السياق.

وتوضح أحداث القصة أن الرزق لا يقتصر على الطعام والشراب، بل يشمل أمورا كثيرة يسوقها الله إليك بصورة عجيبة لا يمكن استيعابها، قد تصل في عِظمها وغرابتها ما دل عليه صراخ زوج (إبراهيم) ولطم وجهها لمّا علمت بواحدة منها مقدما: **(فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا)**، فما أعظم الرزق حين يكون التبشير بالولد العليم: **(وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ)**، لاسيما في ظل انعدام الأمل في الإنجاب؛ لذا عبر بـ**(عَجُوز)** مما يصعب

حملها؛ بل وأُردفتْ بكلمة (عَقِيمٌ)؛ مما يستحيل حملها؛ تناسبا مع قدرة القدير-جل في علاه-، وللتأكيد بأن الله إذا أراد تلاشت كافة المعوقات وتحققت كل المستحيلات كما أفاد رد الملائكة على زوج (إبراهيم) -عليهما السلام-:(قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ)؛ للإنفراد بتدبير هذا الرزق كمًا ونوعا وسببا وزمانا، وهذا القول الرباني(قَالَ رَبُّكِۖ) في هذه الآية لعله إشارة لِما مُثِّل به في قوله تعالى: (...إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ)، بل إن قول الحق قد ذكر صراحة في سورة(الحجر)، فقال تعالى:(قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ)[١].

وإن اقتران الصفتين(ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ) بـ(أل) يدلان على الاختصاص؛ ولهذا لم ترد لفظة (الرزاق) في القرآن إلا مُعرَّفة بـ(أل)؛ لإفادة الحصر والقصر على الله -جل في علاه-؛ بل لم تأت في القرآن إلا على صيغة المبالغة(فعّال)؛ للدلالة على الحكمة والتمكن والإحاطة؛ توضيحا لأبعاد دلالة (ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ) في هذا المقام.

ومن أسباب استشهاد القرآن بـ(إبراهيم) في هذا السياق-أيضا-، أن (إبراهيم) وآله-عليهم السلام- هم أكثر عباد الله سعة في الرزق كما وتنوعا وسببا؛ مما يجعلهم المثل الأقرب آنذاك كما جاء في قوله تعالى: (أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمًا).[٢]

*** وهذه القصة لما وردت في سورة(هود) جاءت أحداثها تامة بصورة لم تأت في السورتين السابقتين؛ في سياق (إعلام نبينا-صلى الله عليه وسلم- بأخبار السابقين)، ويلخصها قوله تعالى الوارد فيها: (تِلۡكَ مِنۡ

(١) سورة الحجر- الآية (٥٥).

(٢) سورة النساء - الآية (٥٤).

أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ).[1]، وقوله تعالى: (ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ)[2].

ومن أنباء الغيب التي يقصها القرآن على رسول القرآن وأمته قصة رسل الله إلى (إبراهيم ولوط)-عليهما السلام- المبشرين للأول بـ(إسحاق ويعقوب) بصور تامة؛ تواؤمًا مع فكرة السياق، فيقول تعالى:

(وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ * فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ * وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ * قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ * قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ * فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ *يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ)[3].

بدأت الأحداث مباشرة دون مدخل عقب انتهاء القصة السابقة[4] بقوله تعالى: (وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن

(١) سورة هود- الآية (٤٩).

(٢) سورة هود - الاية(١٠٠).

(٣) سورة هود- الآيات(٦٩: ٧٦).

(٤) حيث وردت عقب قوله تعالى:(كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ) سورة هود - الآية(٦٨)۞ في سياق قصص عديدة يجمعها مدخل واحد قبل بداية أحداث أول قصة، وهو قوله تعالى: (مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ).سورة هود، الآية (٢٤)، تأكيدا على الفكرة الرئيسة التي يجتمع كل هذه القصص لإبرازها وتأكيدها.

جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ)، فبدأت بـ**(واو)** القسم و**(قد)** التي تفيد تحقيق الخبر وتقريبه من الحال مقترنة باللام الواقعة في جواب القسم[١]؛ بما لا يدع مجالا للتشكيك في صحة وقائع هذه القصة أو تغييرها؛ للتأكيد على أن هذا هو الخبر الحق.

وقد عبر بـ**(رُسُلنَا)** ولم يقل ضيف (إبراهيم) كما في السورتين الأخريين؛ للتأكيد على الخبر وليس على الحال فحسب.

كذلك قال هنا **(عِجْل حَنِيذ)**، ولم يقل **(سمين)**؛ لبيان المشهد أكثر تفصيلا بحال اللحم كما وكيفا، أما في سورة **(الذاريات)** ذكر الكم فقط.

وفي هذه السورة ذكر الإنكار ثم الخوف**(نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً)** بخلاف سورة (الحجر) ذكر الخوف وحده.

والتبشير بـ**(إسحاق)** ومن ورائه**(يعقوب)** ببيان النوع والاسم معا خاص بهذه السورة:**(فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ)**، حيث اقتصر التبشير بـ(غلام عليم) في السورتين الأخريين.

وإن علة التعجب هنا جمعت بين عجز الزوجة –الذي قد يجمع بين عجز الجسد وعجز المرض (العقم)–، وبين شيخوخة الزوج –أيضا– **(قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ)**، وهذا لم يذكر إلا هنا.

وإن مما ذكر مفصلا هنا قوله تعالى: **(قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ)**، فهذه الآية موضحة لسبب الاستشهاد بهذه القصة في السورتين السابقتين، **ففي سورة (الحجر)**؛

(١) ينظر: تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه- الشيخ/ محمد علي طه الدرة- جـ٤ - صـ ٤٧٠- دار ابن كثير.

من أجل بيان مدى رحمة الله بـ(آل إبراهيم)، **وفي سورة (الذاريات)**؛ لبيان مدى البركة والسعة التي أحاط الله بها (آل إبراهيم)؛ إيماء بأن القرآن يفسر بعضُه بعضًا.

ولم يذكر القرآن في السورتين الأخريين مجادلة (إبراهيم) رسل ربه في قوم (لوط) أثناء هذه البشرى، فقال تعالى في هذه السورة:**(فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ * يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ)**.

لتأتي النهاية بحكمة منبثقة من إجمالي أحداث هذه القصة ومتصلة اتصالا وثيقا بالفكرة الرئيسة التي تحملها سورة (هود)، وهي أن علم الله محيط بكل شيء، ويستدل على إحاطة علمه بكل أفعال عباده؛ بأنه يخلف على المتقين بالرحمة والبركة كما في (آل إبراهيم):**(قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ)**، ويخلف على الظالمين بالعذاب والإهلاك كما في قوم (لوط):**(إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُود)**، فالقرآن الكريم هو القول الحق الذي لا يدانيه قول في مصداقيته وإحاطته لكل شيء بصورة إعجازية محكمة دقيقة الشكل والمحتوى: **(الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)**[1].

* وقبل النهاية أود الإشارة إلى وجود بعض الملامح القصصية في القرآن الكريم حول (إبراهيم)-عليه السلام- أكثر إيجازا وأشد تركيزا مما سبق؛ فأتت القصة في آية واحدة في مشهد واحد كما في قوله تعالى في سياق التأكيد على أنه-جل في علاه- هو الذي يحيي ويميت في سورة (البقرة):

(١) سورة (هود) الآية (١).

(أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ)[١]، وفي سياق الفكرة نفسها في ذات السورة ورد هذا الملمح في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[٢].

* وهناك ملمح قصصي آخر في القرآن الكريم حول (إبراهيم) جاء بغرض الإحالة إليه؛ بمعنى أن تكون الفكرة التي يحملها سياق الآيات متصلة اتصالا وثيقا بقصة معينة؛ فيشير القرآن إليها، كما جاء في سياق التأكيد على ألوهية الله ووحدانيته، فيقول تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)[٣]؛ فلعل التذكير جاء على سبيل الإحالة إلى إجمالي أحداث قصة (إبراهيم) مع أبيه وقومه؛ لأنها تعالج هذه الفكرة وتتناولها بكافة أبعادها ومحاورها، خاصة دور (إبراهيم) –عليه السلام– في إقامة الحجة على صحتها، وبقائها في ذريته ينشرونها في كل أنحاء الأرض على امتداد الأزمان.

وفي الختام يمكن القول بأن (إبراهيم)–عليه السلام– على امتداد

(١) سورة البقرة– الآية (٢٥٨).

(٢) سورة البقرة– الآية (٢٦٠).

(٣) سورة الزخرف– الآيات(٢٦، ٢٧، ٢٨)

قصصه وشتى مواقفه يبلور المعنى الحقيقي للإسلام؛ المتمثل في سلامة القلب ورجاحة العقل وحسن البلاء؛ وهذا لا يتحقق إلا بالخضوع الكامل قلبا وقالبا للخالق مهما استدعى ذلك التضحية بأغلى ما يملك المرء؛ وإن كانت التضحية هي الظاهرة؛ لكن النهاية السعيدة هي الواقع الملموس في فرحة النصر وسعة الرحمة وصلاح الذرية وثواب الآخرة؛ فإن قصَصَ (إبراهيم)- عليه السلام- قد جاء في إطار تمثيل هذا وتأكيده؛ مما يبرهن على عالمية رسالة الإسلام، وأنه هو الدين عند الله.

الخـــاتـمــة

وبعد مصاحبة قصص سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في القرآن الكريم ودراسة أبنيته وتوضيح فِكراته، يمكن استنتاج التالي:

١– إن القرآن الكريم أكبر بكثير من أن يحيط إنسان بإعجازه، فهو يعطي لكل مريديه من شتى التخصصات على مر العصور وامتداد البيئات دون أن ينفد عطاؤه وتنتهي أسراره، وإن إحاطة البشر بتأويله؛ فهذا يعني نزوله من إعجاز العليم الحكيم إلى دنيا العقول البشرية والإتيان بمثله؛ ولكنه جاء ليرفعها ويمدها بما هو صالح للارتقاء بشتى علومها، وبما يقوِّم من معتقداتها وكافة أمور حياتها على امتداد عصورها المتطورة، طورا بعد طور.

٢– القصص القرآني يمكن أن يشابهه القصص البشري في تقنياته؛ لكن له خصائصه الملازمة له التي تميزه عن غيره قد أوضحتها الدراسة من حيث: شدة الإيجاز، ودقة الألفاظ، وكثرة الإيحاءات، وبراعة الإشارات، وبلاغة الصورة، وفصاحة اللغة سردا وحوارا، ونبل الفكرة وإيضاحها والإحاطة بمرادها، وقوة الأثر والتأثير في كل الأجيال في شتى المجتمعات على امتداد الأزمان، ولعل أكثر ما يرتقي به إلى مراتب الإعجاز والتعجيز هو توظيف القصة الواحدة في أكثر من سياق لتوضيح أبعاد فكرة كل سورة توضيحا تاما دون اختلاط أو لبس بين تلك الفكرات.

٣– يمكن القول بأن كل سورة قرآنية لها فكرة رئيسة تجمع بين كل آياتها، وتتفرع إلى محاور تلم بكل جوانبها ولا تتعداها، وهذا من الإعجاز، يضاف إليه أن كل فكرات السور القرآنية متصلة اتصالا وثيقا ببعضها البعض، ومفسرة لبعضها بعضا؛ لذا توظف أحداث القصة الواحدة في سياق أكثر من فكرة في أكثر من سورة قرآنية؛ ومن ثم ينبغي مراعاة التالي في تحليل قصص (إبراهيم) –عليه السلام– في القرآن:

أ– خضوع بناء القصة للفكرة التي تحملها من المدخل إلى النهاية؛ مما يمكن القول بأنها هي التي تتحكم في أحداث القصة من حيث الحذف

والإتمام، والتفصيل والإجمال، وصناعة عباراتها من حيث بناء الأساليب واختيار ألفاظ لغتها سواء في السرد أو الحوار بصورة تمنع الالتفات لأفكار أخرى (تركيز الفكرة).

ب – إن الشخصيات باعتبار تكرارها في شتى القصص القرآنية (موضوع البحث)، يتعرف على سماتها وملامحها من مجمل الآيات القرآنية، وكذلك عنصري الزمان والمكان، وإن القرآن لا يذكر من خصائص تلك العناصر في أحداث القصة إلا ما كان محورا رئيسا في تطور الأحداث، ولها أثر بارز في إيضاح الفكرة، كرجاحة عقل (إبراهيم)- عليه السلام- في بناء الحوار وتطور الأحداث في الفكرة الثانية، وتحديد مكان الحدث بالبيت في قصة بشرى (إبراهيم)؛ لإضفاء الخصوصية في الحدث.

٤- تتضح جماليات القرآن الكريم في تكامل نصوصه وإحاطتها لكل ما يهمّ المخاطَب؛ حيث تُفسر بعضها بعضا، ويُستدل بها على صحتها، ويُردُّ بها عليها؛ وهذا الجمال الفريد ليس لغير القرآن الكريم.

٥- يمكن القول بأن دارسي الأدب خاصة واللغة العربية عامة المتمكنين من تخصصهم مِن أمهر الدارسين للنص القرآني، واستنطاق مدلوله، وتحليل قصصه، واستخراج جمالياته، والكشف عن أسراره؛ لما تسلحوا به من معايشة جماليات اللغة العربية ومعايير جودة أساليبها من ألفاظ وصور، وحبكة القصة وجمال الفكرة...إلخ؛ وإن القرآن الكريم إعجاز لغوي في الأصل، لكن عمومية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم تدعوني إلى التوصية بأن يكون القرآن أولى الاهتمامات البحثية لكافة التخصصات الشرعية والتطبيقية بقيادة خبيري اللغة العربية؛ فبدون شك ستقودنا لاستخلاص ما يعيننا على التقدم في كافة العلوم والمجالات والاستكشافات، ومن قبلها المعاملات، فالتخصص الواحد حين البحث في القرآن الكريم؛ يعني افتقاده للكثير من أسراره، ولا يستطيع البحث فيه والتعمق في أسراره إلا المتمكن من لغته.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً- القرآن الكريم.

ثانيا- المصادر والمراجع:

١- إشكالية الزمن في النص السردي- عبد العالي بوطيب- الهيئة المصرية العامة للكتاب- ط٢، ١٩٩٣م.

٢- بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ - د. سيزا قاسم- مكتبة الأسرة-٢٠٠٤م.

٣- تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام من ١٨٧٠إلى ١٩٦٧م- إبراهيم السعافين - دار المناهل، بيروت ١٩٨٧م.

٤- تفسير أبي السعود- للإمام أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى- دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٥- تفسير التحرير والتنوير- الإمام الشيخ/ محمد الطاهر بن عاشور- الدار التونسية للنشر.

٦- تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه- الشيخ/ محمد علي طه الدرة- دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١ ، ٢٠٠٩م .

٧- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور- ابن الأثير،تحقيق وتعليق/ مصطفى جواد، وجميل سعيد- مطبعة المجمع العلمي العراقي- ١٣٧٥هـ -١٩٥٦م

٨ - خطاب الحكاية بحث فى المنهج- جيرار جنيت- ترجمة /محمد معتصم، عبدالجليل الأزدي، عمر حلى-الهيئة العامة للمطابع الأميرية- ط ٢- ١٩٩٧م.

٩- خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام- د/الشحات محمد أبوستيت- مطبعة الإيمان- ط١- ١٩٩١م- ١٤١٢هـ.

١٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني(تفسير الألوسي)- شهاب الدين الألوسي- دار الفكر- بيروت.

١١- سنن الترمذي- أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي- تحقيق/شعيب الأرنؤوط - دار الرسالة العالمية- ط١.
١٢- عالم الرواية- رولان بورنوف، ريال أوئيليه- ترجمة/ نهاد التكرلي- دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩١م.
١٣- فن القصة - محمد يوسف نجم- دار بيروت للطباعة والنشر- ١٩٥٥م.
١٤- فن كتابة القصة - حسين القباني- المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر-١٩٦٥م.
١٥- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه- عبدالكريم الخطيب- دار المعرفة، بيروت- لبنان- ط ٢- ١٩٧٥م- ١٣٩٥هـ.
١٦- مع القرآن الكريم في دراسة مستلهمة-علي النجدي ناصف-تحقيق/ مدحت يوسف السبع- دار المعارف- ٢٠٠٩- ١٤٣٠.

ثالثا- المجلات والحوليات والشبكة العنكبوتية:

١- مجلة (ابتكارات للدراسات الإنسانية والاجتماعية)- بحث أدبي بعنوان: (أنماط المونولوج في رواية "همس الجسور" للروائي علي المعمري- للكاتب/ إسماعيل بن مبارك بن سالم العجمي- المجلد الأول، العدد الأول- ٢٠٢٣م -مجلة دولية محكمة تصدر عن بوابة الأحداث العلمية، ماليزيا-.
٢- موقع (صحفي) الإلكتروني على الشبكة العنكبوتية - مقال بعنوان: (تقنية الوقفات الوصفيّة في عالم غالب هلسا الروائي)- - نشر بتاريخ ١يوليو ٢٠٠٥.

رابعا- المعاجم :

١- معجم اللغة العربية المعاصرة - د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر، وآخرون- عالم الكتب، القاهرة -الطبعة الأولى- ٢٠٠٨ م.

Index of sources and references

First - The Holy Quran.

Second- Sources and references:-

1- The problem of time in the narrative text - Abdel-Aali Boutayeb - Egyptian General Book Authority - 2nd edition, 1993 AD.

2- Building the novel, a comparative study in Naguib Mahfouz's trilogy - Dr. Siza Qassem - Family Library - 2004 AD.

3- The development of the modern Arabic novel in the Levant from 1870 to 1967 AD - Ibrahim Al-Saafin - Dar Al-Manahil, Beirut 1987 AD.

4- Tafsir Abi Al-Saud - by Imam Abi Al-Saud Al-Amadi Muhammad bin Muhammad bin Mustafa - Arab Heritage Revival House - Beirut.

5- Interpretation of Tahrir and Enlightenment - Imam Sheikh/ Muhammad Al-Tahir bin Ashour - Tunisian Publishing House.

6- Interpretation, parsing, and explanation of the Holy Qur'an - Sheikh/ Muhammad Ali Taha Al-Durrah - Dar Ibn Katheer, Damascus, Beirut, 1st edition, 2009 AD.

7- Al-Jami' Al-Kabir fi making Manzum from Kalam and Manthur - Ibn Al-Atheer, edited and commented by Mustafa Jawad and Jamil Saeed - Iraqi Scientific Academy Press - 1375 AH - 1956 AD.

8- The Discourse of the Story, Research in the Method - Gerard Genette - Translated by / Muhammad Moatasem, Abdul-Jalil Al-Azdi, Omar Hali - General Authority for Princely Printing Press - 2nd edition - 1997 AD.

9- Characteristics of the Qur'anic systems in the story of Abraham, peace be upon him - Dr. Al-Shahat Muhammad Abustait - Al-Iman Press - 1st edition - 1991 AD - 1412 AH.

10- The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Mathanis (Tafsir Al-Alusi) -

Shihab Al-Din Al-Alusi - Dar Al-Fikr - Beirut.
11- Sunan al-Tirmidhi - Abu Issa Muhammad bin Issa bin Surat al-Tirmidhi - edited by Shuaib Al-Arnaout - Dar Al-Risala Al-Alamiah - 1st edition.
12- The World of the Novel - Roland Burnouf, Real Ouellet - Translated by Nihad Al-Takarli - House of General Cultural Affairs, Baghdad, 1991 AD.
13- The Art of the Story - Muhammad Youssef Negm - Beirut Printing and Publishing House - 1955 AD.
14- The Art of Writing Stories - Hussein Al-Qabbani - Egyptian General Institution for Authorship, News and Publishing - 1965 AD.
15- Qur'anic stories in its meaning and meaning - Abdul Karim Al-Khatib - Dar Al-Ma'rifa, Beirut - Lebanon - 2nd edition - 1975 AD - 1395 AH.
16- With the Holy Qur'an in an inspired study - Ali Al-Najdi Nassif - Edited by Medhat Youssef Al-Saba' - Dar Al-Maaref - 2009 - 1430.

Third: Magazines, yearbooks, and the Internet

1- Journal (Innovations for Humanities and Social Studies) - Literary research entitled: (Monologue patterns in the novel "Whisper of Bridges" by the novelist Ali Al-Maamari - by the writer/ Ismail bin Mubarak bin Salem Al-Ajami - Volume One, Issue One - 2023 AD - A peer-reviewed international journal published by Gateway Scientific events, Malaysia-.
2- (Sahafi) website on the Internet - an article entitled: (The Technique of Descriptive Pauses in the Novelist's World of Ghaleb Hilsa) - published on July 1, 2005.

Fourth - Dictionaries:

1- Dictionary of the Contemporary Arabic Language - Dr. Ahmed Mukhtar Abdel Hamid Omar, and others - World of Books, Cairo - First Edition - 2008 AD.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مـقـدمــة	١٠٦٩
الـتـمـهـيـد	١٠٧١
أثر القصة من منظور القرآن الكريم	١٠٧١
عالمية إمامة (إبراهيم) -عليه السلام-	١٠٧٢
المبحث الأول : قصص إبراهيم مع أبيه وقومه	١٠٧٤
الفكرة الأولى : الاستدلال على وجود الله- جل في علاه-	١٠٧٥
الفكرة الثانية: الصبر مفتاح النصر	١٠٨٢
الفكرة الثالثة: بر الأنبياء بآبائهم وأهليهم (رحمة قلوبهم)	١٠٨٩
الفكرة الرابعة : الـعـبـرة لمـن يعـتـبـر	١٠٩٤
الفكرة الخامسة : انعدام نفع كل ما دون الله-جل في علاه-	١١٠١
الفكرة السادسة : ما جزاء الإحسان إلا الإحسان	١١٠٦
المبحث الثاني : بشرى إبراهيم بإسحاق ويعقوب-عليهم السلام-	١١١١
الـخــاتـمــة	١١٢٤
فهرس المصادر والمراجـع	١٠٢٦
فهرس الموضوعات	١١٣٠